



مركز الفكر
الاستراتيجي
للدراسات

54
أوراق سياسية



سلسبيل سعيد

الماكرونية والإسلام في فرنسا

هل ينجح مشروع صناعة إسلام على مقاس اللائكية!



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

المحتويات

4.....	مقدمة.....
6	محركات الصراع الفرنسي مع الإسلام والمسلمين
6	تأريخ التصادم والكراهية «المتبادلة» بين فرنسا والمسلمين
10	المرحلة الاستعمارية الفرنسية للدول الإسلامية
12	لائكية فرنسا.. يمين علمانية أوروبا
14	معضلة الحجاب
19	التيارات السياسية في فرنسا وعلاقتها بالمسلمين
22.....	سياقات المقاطعة والغضب من فرنسا.....
23	خلفيات الغضب «الإسلامي» من فرنسا
25	المواقف الرسمية والشعبية تجاه الرسوم المسيئة
34.....	خلفيات التصادم بين فرنسا و«الإسلام» في عهد الرئيس ماكرون
34	المقاربات التشريعية الفرنسية للإسلام داخل فرنسا
37	ملخص مشروع قانون ماكرون للانفصال الإسلامي
39	الإسلام «كبش الفداء» لإخفاء إخفاقات سياسات ماكرون
42.....	مآلات التحركات الفرنسية على الإسلام والمسلمين
42	فعالية حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية
45	العنصرية ضد المهاجرين والمسلمين
47	سيناريوهات «الحرب الحضارية» على الإسلام
52.....	المراجع
52	المصادر العربية
59	المصادر الأجنبية.....

مقدمة

أعيد الحديث عن الإسلام إلى الواجهة مجدداً في الساحة الأوروبية بعد تصريحات ماكرون الأخيرة حول الإسلام، ثم تأييده للرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ﷺ بوصفها حرية تعبير. ولم تقف المسألة عند هذه اللافتة، بل تجاوزتها إلى مسألة متداخلة تتراوح بين التوظيف التكتيكي المرتبط بالمعارك الداخلية التي تخوضها الحكومات وفشلها في العديد من الاستحقاقات، وبحثها عن مخارج تغطي بها تلك الإخفاقات من خلال افتعال مشكلات هُويائية محل اهتمام شرائح واسعة من المجتمع، وبين قضايا أعمق من ذلك بكثير تتصل بعلاقة أوروبا عموماً بالإسلام، وتحيل في هذا السياق إلى تلك المحاولات الهادفة إلى قولبة الإسلام في نماذج تتماهى مع القيم الثقافية في المجتمعات الأوروبية بغض النظر عن الفوارق الجوهرية بينها وبين القيم الإسلامية وخصوصياتها.

لم يعكس خطاب ماكرون في مقارباته حول محاربة «الجماعات الإرهابية» و«الإسلام السياسي» أو «الانعزالية الإسلامية» توجس السلطات الحاكمة ومخاوفها من «التحديات الإسلامية» فقط، وإنما برهن على عجز الحكومة الفرنسية عن إيجاد حلول ملموسة للقضايا التي تمس الجالية المسلمة، وعلى عدم تمكن سياسته من التعامل بحكمة مع المشاكل الداخلية، فصدرها إلى الخارج، من خلال حديثه عن المشكلات التي يواجهها الإسلام في العالم، وبذلك أعاد من جديد أطروحة صراع الحضارات، والخطاب المولد للعنف والعنف المضاد، وأثبت من ناحية أخرى أن «المعركة اللامتناهية» بين الفكر الغربي والحضارة الإسلامية آخذة في الاستمرار والتوسع.

وإذ ليست هناك أي جهود أممية ودولية للتوصل إلى ميثاق يجرم الاعتداء على الأديان (ولا سيما الدين الإسلامي)، ولكون الردود الرسمية للعالم الإسلامي غالباً ما تأتي خجولة غير مستدامة، وتُصرح فقط لامتنعاص غضب شعوبها ولتضمن حقها في استمرار الحكم، فإن المعركة ستتجدد بين حين وآخر. ويدخل العامل غير الرسمي، ممثلاً في الشعوب، بصفته متغيراً مستقلاً قد يحدث الفارق؛ لأنه يعرف من أين تؤكل الكتف الأوروبية؛ من خلال خيار «المقاطعة» بوصفها وسيلة دفاع تعاقب بها من يسيء إلى مقدساتها، وقد أثبتت نجاعتها، الظرفية على الأقل، ورغم تراجعها فإنها تعود مرة أخرى كلما أعادت جهة ما الإساءة للمسلمين، كما حصل مع الدنمارك سنة 2005، وفرنسا في الآونة الأخيرة.

تبحث هذه الورقة السياسية في إحداثيات الخطاب الفرنسي الحكومي تجاه المسلمين الفرنسيين، وحول الدين الإسلامي بشكل أوسع، وتناقش مسألة صياغة «الإسلام المحلي» التي انتهجتها العديد من الدول، ومن ضمنها الأنظمة العربية والإسلامية، كما ترصد حركة المقاطعة الشعبية ومدى فعاليتها مقارنة بين التجربتين الفرنسية والدنماركية.

حركات الصراع الفرنسي مع الإسلام والمسلمين

يركز هذا المبحث على أهم محطات العلاقات الفرنسية مع العالم الإسلامي، وأبرز خصائص كل محطة، ومدى التقارب أو التنافر بينهما، فالتاريخ مليء بالأحداث التي جمعت بين فرنسا والمسلمين، بدءاً بالحروب الصليبية مروراً بالحملات الاستعمارية، وصولاً إلى استقرار المهاجرين العرب والمسلمين داخل فرنسا وتشكيل هوية جديدة للبلد الذي حمل عداء لـ«كل ما هو دين».

1- تاريخ التصادم والكراهية "المتبادلة" بين فرنسا والمسلمين

تغلب سمة «العداء المشترك» على تاريخ العلاقة بين الإسلام وفرنسا، وسعي كل طرف للهيمنة وبسط النفوذ والحكم. أولى حلقات التصادم التاريخي بين فرنسا والمسلمين كانت في الفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى الأراضي الفرنسية في القرن الثامن الميلادي؛ فبعد الفتح الإسلامي للأندلس في سنة 711م، بدأ الجيش المسلم بالتمدد نحو جبال البرانس التي تفصل شمال إسبانيا عن جنوب فرنسا. وفي سنة 720 تحركت الجيوش الإسلامية بقيادة السمح بن مالك الخولاني لتفتح مدينة «سبتمانيا» الواقعة في الجنوب الفرنسي، ثم فتح مدن بيزيه وماجلون وقرقشونة وأربونة، ثم أكمل طريقه حتى وصل إلى تولوز (طولوشة) التي اشتعلت فيها معركة عظيمة بين جيش السمح وجيش ولاية أكوطين بقيادة الدوق «أودو»، ولكن الفتوحات توقفت عند هذه الحدود إثر استشهاد السمح بن مالك الخولاني سنة 721م، وانسحب الجيش الإسلامي تحت إدارة

نائبه عبد الرحمن الغافقي وعاد إلى الأندلس¹.

بعد عدة سنوات تحرك وال مسلم آخر هو عنيسة بن سحيم الكلبي، حيث افتتح مدينة قرقشونة، ورتب أمر حاميتها، وجعلها قاعدة انطلاق للمسلمين في فرنسا وكذا للتصدي لأي هجوم قد يستهدف الجيش المسلم. تابع الكلبي زحفه نحو الشرق وفتح مدينة ليون، ووصل إلى مدينة أوتون في وسط فرنسا، وجعل منها قاعدة لبعث السرايا إلى العديد من مدن وسط وشرقي فرنسا، ولكن سرعان ما خسر المسلمون كل المدن التي افتتحوها في شرقي فرنسا نتيجة للظروف المناخية القاسية التي عانى منها الجيش، وتراجع هو الآخر بعد استشهاد قائده نتيجة اشتباكه مع جموع من الفرنج سنة 725م².

لم تتوقف محاولات المسلمين في التمدد نحو الأراضي الفرنسية، ففي سنة 732م توجه جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي نحو فرنسا لضمّ أراض جديدة، فعبر جبال ألبرت، ثم دخل مقاطعة أكتانيا (أقطنانية)، ثم واصل بعدها جيش الغافقي التقدم حتى وصل إلى بواتيه، على بعد 100 كم من باريس، حيث اشتعلت معركة بلاط الشهداء الشهيرة في رمضان 114هـ، الموافق لأكتوبر/تشرين الأول 732م³.

على الرغم من خسارة المسلمين في المعركة فإنهم أقاموا قرنين من الزمن في عدد من المدن الفرنسية، وقد ضمّوا

1 أحمد محمد، الفتوحات الإسلامية في فرنسا، موقع ساسة بوست، (2015/8/30)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/25). <https://www.sasapost.com/opinion/france/>

2 أحمد بن صالح الظرافي، القائد العربي الذي وصل بجيشه إلى ضواحي باريس، الجزيرة نت، (2019/5/4)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/VhnWQjC>

3 أحمد بن صالح الظرافي، القائد العربي الذي فتح الشطر الأعظم من فرنسا، الجزيرة نت، (2019/5/20)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/ehnW1Q8>

مرسلياً سنة 737م، وسان ترويز سنة 889م، وسيطروا على منطقة البروفانس جنوب شرقي فرنسا حتى نهاية القرن العاشر. وقد كانت معركة «بلاط الشهداء» نقطة تحول في عمليات الفتوحات الإسلامية، لكونها أعاقت استمرار الفتوحات إلى الداخل الأوروبي، وما تبع ذلك من الانقسامات التي حصلت في صفوف المسلمين في الأندلس، التي انتهت بخسارة المسلمين لأهم معقلهم في أوروبا⁴.

ثانية محطات الصدام الفرنسي الإسلامي كانت مع إطلاق «البابا أوربان الثاني» نداء للحملات الصليبية الأولى في نوفمبر/ تشرين الثاني 1095 من مدينة كليرمونت في فرنسا، وقدم عرضاً مفاده: «كل من يذهب إلى القدس ليحرر كنيسة الرب بنيّة خالصة غير قاصدٍ مالا ولا جاهاً سيغفر له ما تقدم من ذنبه»⁵. كان هدف البابا من هذه الدعوات إيقاف الاقتتال الداخلي بين الطوائف المسيحية وتوجيهها نحو هدف موحد لهم؛ وهو «تحرير» القدس، بالإضافة للبحث عن مصادر الحياة نظراً لسنوات القحط والفقر الشديد الذي عانته أوروبا في تلك الحقبة.

اجتمعت جيوش كبيرة من مختلف الممالك والإمارات الأوروبية بقيادة كبار النبلاء في القسطنطينية عام 1096، وسيطرت على المدن مدينة تلو الأخرى، إلى أن وصلت إلى القدس وأسقطتها في 15 يوليو/تموز 1099.

4 رنّدة عطية، بلاط الشهداء.. المعركة التي غيرت تاريخ الفتح الإسلامي، موقع نون بوست، (13/06/2020)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/25). <https://cutt.ly/phnEwGD>

5 جونانان فيليبس، التاريخ الكامل للحملات الصليبية، ترجمة: أحمد زيد، موقع حكمة، (2016/2/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/25). <https://cutt.ly/ShnEEDB>

جاء صلاح الدين، خليفة نور الدين زنك، للم شمل الأمة الإسلامية، بعد الصراعات المتعددة بين الفاطميين والعباسيين ثم السلاجقة من بعدهم. فانطلق من القاهرة نحو الشام لتوحيد الصفوف في اتجاه القدس، وتوجت جهوده باستعادتها في معركة حطين في الرابع من يوليو/تموز 1187.

بعدها جمع الصليبيون الجيوش لحملة جديدة كانت تهدف إلى السيطرة على القدس مجدداً سنة 1204، وكان ابن إسحاق أنجلوس قد وعد الصليبيين الأوروبيين بتأمينهم من هدفهم إذا ساعدوه في إعادة أبيه إلى السلطة، بعد أن أقصي من حكم القسطنطينية وأدخل السجن، ولكن لم يتمكن إسحاق أنجلوس من الوفاء بوعدده، وسيطر الصليبيون على القسطنطينية. بعد أربعين عاماً تمكن اليونانيون من استعادة المدينة ودحروا الصليبيين وأعادوهم إلى مناطقهم دون رجعة، وقد عُدد هذا الحدث انتهاء للحملات الصليبية في ذلك القسم من الكرة الأرضية.⁶

ثم ظهرت العديد من المساعي للكنيسة الكاثوليكية لتوحيد الصفوف الأوروبية باتجاه القدس، فانطلقت الحملة الصليبية الخامسة (1213-1221)، والسادسة (1228) لإعادة السيطرة على القدس من الدولة الأيوبية القوية، إلا أن كلتا المحاولتين باءت بالفشل، نتيجة لاحتدام الصراعات بين الكنيسة والدولة القومية، وانتشار الأمراض، وقلّة المؤن، ومن ثم فقد كانت تلك المهمة مستحيلة، واستمرت القدس تحت الحكم الإسلامي إلى أن سلمها البريطانيون إلى الاحتلال «الإسرائيلي» بوعد بلفور 1917.

6 برناردين كليتي، فتح القسطنطينية، ترجمة شكري نديم، مكتبة النهضة، بغداد، 1962، ص 59-62.

2- المرحلة الاستعمارية الفرنسية للدول الإسلامية

بدأت الهيمنة الفرنسية على إفريقيا مع القرن السابع عشر، حيث بدأت فرنسا باستغلال ثروات القارة واستعباد سكانها منذ 1624، من خلال إنشاء أول مراكزها التجارية في السنغال، وبعد المعاهدة الفرنسية البريطانية عام 1890 توسع الاستعمار الفرنسي وهيمن على مناطق غرب ووسط إفريقيا، واتبع سياسات لفرض قيمه الثقافية ولغته وأساليبه في ممارسة الحياة اليومية⁷.

عملت فرنسا على طمس هوية الشعوب التي احتلتها، وعمدت إلى انتهاج سياسات معادية للإرث الإسلامي في شمال إفريقيا وغيرها من الدول الإفريقية المسلمة، حيث أوقفت العمل بنظام الأوقاف الإسلامي ووصفته بأنه نظام رجعي يمنع تداول الثروات، وصادرت أملاكه وجعلتها تحت إدارتها، وذلك بهدف التضييق على المعاهد والمدارس الإسلامية، وإضعاف الحياة الدينية وإنشاء المساجد التي كانت تعتمد بشكل أساسي على الأوقاف لتمويلها⁸.

ومع بداية الحرب العالمية الأولى ظهرت مرحلة جديدة للعلاقة بين فرنسا والمسلمين، وكانت السمة البارزة فيها هي «الاستغلال الفرنسي للشعوب والثروات الإسلامية»؛ حيث بدأت إدارة باريس تجنيد رجال المستعمرات (من شمال إفريقيا وإفريقيا السوداء) لدعم الخطوط الأمامية في الحرب العالمية الأولى؛ فعلى سبيل المثال أصدرت عدة مراسيم في الجزائر، في سنوات

7 الكابوس الفرنسي في إفريقيا (القسم الأول): الخلفية التاريخية، وكالة الأناضول، (2020/2/8)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/OhZKfLA>. (2020/12/18)

8 أحمد رمزي، الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1948، ص 146-149.

1908 و1912 و1916، تنص على تجنيد الشبان الجزائريين الذين بلغوا سن الثامنة عشرة في الجيش الفرنسي، ووجوب هذه الخدمة ودون أن يمنحوا أي حقوق سياسية⁹. إلا أن هذه المراسيم أثارت غضب الجزائريين الذين فضلوا الهجرة إلى الخارج لتجنب التجنيد في جيش الدولة التي تضطهدهم. ونتيجة رغبة المسؤولين الفرنسيين في الحفاظ على فعالية جنود المستعمرات المسلمين في جبهات القتال، فقد استُجيب لبعض مطالب الجزائريين وصدر مرسوم، في 19 سبتمبر/أيلول 1912، يسمح للشبان الجزائريين الذين يؤدون الخدمة العسكرية بالمشاركة في الانتخابات المحلية، ويمكنهم من الحصول على مناصب عمل بعد الانتهاء من أداء الخدمة العسكرية¹⁰.

وعند نهاية الحرب العالمية الأولى، ولأن فرنسا كانت بحاجة إلى عدد كبير من اليد العاملة بسبب حجم الخراب الهائل، تسارعت وتيرة هجرة العمال الأفارقة إلى فرنسا بين خمسينيات وثمانينيات القرن الماضي للعمل في إعادة إعمار البنية التحتية وفي أعمال المناجم والمصانع. وكانت أولى جاليات «الهجرة إلى الشمال» من الجزائر، ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، ثم لحقتها الجاليات الإفريقية الأخرى، من تونس والمغرب ثم من السنغال ومالي وموريتانيا.

استقر هؤلاء العمال في ضواحي المدينة في المساكن التي قدمتها الدولة الفرنسية للعمال المهاجرين وكانوا يعانون فقراً مدقعاً وكدحاً اقتصادياً، ويعيشون في ظروف اجتماعية قاسية جداً،

⁹ عمار بوحش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1997، ص214.

¹⁰ المصدر نفسه، ص212-213.

ولكن مع مرور الوقت انضمت عائلات العمال إلى ذويهم للعيش في فرنسا، منشئين هويةً جديدةً داخل المجتمع الفرنسي. ومع تضاعف أعداد الأسر المهاجرة أصبحت الدولة الفرنسية تفرض العديد من المعوقات والقيود على أبناء العمال المهاجرين تحت ذريعة حماية مبادئ الجمهورية الخامسة وقيم العلمانية، مع تحفيز العداء للمسلمين من قبل رجال الشرطة والأجهزة الأمنية وتفشي العنصرية والعداء للمهاجرين داخل المجتمع الفرنسي.

3- لائكية فرنسا.. يمين علمانية أوروبا

للحضارة الغربية المعاصرة ركائز مختلفة عن تلك التي تقوم عليها حضارات المجتمع الإسلامي وثقافته، فالحضارة الغربية المعاصرة تركز بشكل أساسي على موروثها الفكري والثقافة الأوروبية الحديثة التي أنشئت ضد كل ما هو دين أو فلسفة «الفصل بين الدين والحياة الاجتماعية». فالدين في نظر الغربي علاقة بين الإنسان وربه، محلها ضميره فقط ولا يجوز أن يمتد إلى غير ذلك، فلا يمكن للدين أن يتجاوز جدران المعبد، وليس من شأنه أن يوجه الحياة بالتشريع والإلزام وفرض التعاليم والأحكام على المؤسسات التي تحكم المجتمع وتدير شؤونه؛ من ثقافة وتعليم واقتصاد وتشريع وإعلام. فقد شهدت أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكذلك بداية القرن العشرين، تهميش ومصادرة دور الكنيسة الكاثوليكية وجميع الأديان من الحكومة أولاً، ثم من التعليم، ثم على نطاق أوسع من الحياة العامة، وكان تشييد الجمهورية في مواجهة مباشرة مع الدين المنظم، بل وحتى في مواجهة الإيمان، وهذا هو المحور الأساسي لللائكية في تنظيم جميع العلاقات بين الدولة والدين.

تعتمد فرنسا على المذهب اللائكي، الذي ينص على الفصل القانوني بين المؤسسة الدينية والدولة، كما أقره قانون سنة 1905، ورفض مرجعية الدين في إدارة الحياة الاجتماعية، وهو مفهوم يختلف عن العلمانية التي تستعمل للتعبير عن المسار المؤدي إلى فقدان المؤسسات والأفكار والممارسات الدينية لمعناها الاجتماعي كما يراها براين ولسن¹¹.

اللائكية الفرنسية لا تكتفي بتحرير السياسة من سيطرة الكنيسة، بل تراهن على محاربة الدين عامة وطرده من الفضاء العام، واستبدال قيم لائكية راسخة به، لتحل المدرسة بدورها محل الكنيسة في إعادة صياغة الوعي الفردي والجماعي، وبذلك تكون اللائكية الفرنسية ليست مجرد حركة إصلاحية اجتماعية كالحركة العلمانية، بل تكون أشبه بالعميدة الشمولية والصارمة التي تحل محل الدين أو المعتقد بعد استيعاب العديد من مظاهره وتعبيراته في قالب علماني¹².

يرجع تميز الحالة اللائكية الفرنسية عن الحالة العلمانية الأوروبية إلى خصوصية التاريخ الفرنسي؛ حيث كان للكنيسة الكاثوليكية دور مهم في المجتمع الفرنسي، وكان ملوك فرنسا في طليعة المدافعين عن النظام البابوي منذ عهد شارلمان في القرن الثامن، فضلاً عن الحروب الطاحنة التي امتدت عشرات السنين خلال القرن السادس عشر بين مختلف المكونات الدينية لفرنسا¹³، وهذا ما جعل البلاد تتجه نحو الفصل التام

11 عادل لطيفي، العلمانية واللائكية والإسلام.. رفعاً للالتباس، موقع الجزيرة، (2011/9/19)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/LhnTwpG>. (2020/11/23)

12 عبده مصطفى دسوقي، اللائكية - Secularism، الموسوعة السياسية، (د.ت)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/22). <https://cutt.ly/JhnTanS>

13 عادل لطيفي، مرجع سابق.

بين الكنيسة والدولة، وأصبح الدستور الفرنسي ضد كل ما هو رمز ديني، وفرض عدد من الإجراءات والقوانين اللاغية لأي هويات بعيدة عن الهوية المؤمنة بأفكار الجمهورية وأيديولوجيتها العلمانية.

ونظراً للتعارض الدائم بين الدين والإيديولوجيا العلمانية أو اللائكية؛ لأن كليهما يطالب بإيمان والتزام وطاعة خاصة به، ويتنازعان دوماً للسيطرة على أرض واحدة¹⁴، فإن هذا يعني أن العقيدة الفرنسية الحاكمة ستظل دوماً معارضة للأشكال الإسلامية الظاهرة في مختلف ميادين الحياة الإنسانية، بناء على أنها تنتهك المبادئ الفرنسية اللادينية، وتتعارض مع النظام العام الذي شكله الدستور الفرنسي.

4- معضلة الحجاب

مسألة «حظر الحجاب» في فرنسا أبعد من كونها قضية مواجهة فرنسا للرموز الدينية وضمان العلمانية وقيم الجمهورية؛ وذلك لأن قضية الحجاب وتدرج حظره من عام 1989 حتى عام 2011- في استمرار صدور تشريعات جديدة- تحمل خلفيات عديدة للرؤية الفرنسية تجاه الإسلام والمسلمين.

يمثل الحجاب رمزاً للتحدي والمقاومة، فالاستعمار الفرنسي الذي بسط نفوذه على نحو 9% من مساحة الكرة الأرضية، وفرض لغته وأسلوب حياته فيها، واجه تحدي الحجاب على أرضه، الذي يرى فيه «أنه ممارسة بربرية من العصور الوسطى، بعيد كل البعد عن مبادئ فرنسا التحريرية للنساء من الهيمنة الذكورية». لقد حاول المحتل الفرنسي في ثلاثينيات

14 كريم عبد الرحمن، العلمانية - ماهيتها، تعريفاتها، مقاصدها، مجلة الاستغراب، شتاء 2016، ص 320.

القرن الماضي إزالة «فكرة الحجاب» عن المستعمرات الخاضعة له، ولا سيما في الجزائر، حيث شجع النساء المسلمات على نزع الحجاب أو إزالته بالقوة، لأنه كان يرى في ذلك تعزيزاً لهيئته على الرجل والأسرة المسلمة، وكذا قدرته على تدمير الثقافة العربية من خلال تبني النساء المسلمات للهوية الفرنسية التحريرية ونقلها إلى أفراد الأسرة¹⁵.

نشر الاحتلال الفرنسي فكرة «تحرير النساء المسلمات من النظام الأبوي المتخلف»، وسعى إلى تمكين البلدان التي استعمرها من أسلوب الحداثة والحياة المتعدنة؛ حتى يظهر بمظهر المحرر من القمع والمدافع عن الحقوق والحريات في الأدبيات والمراجع التاريخية لتلك الحقبة، ولكن لم تستجب شعوب المستعمرات لتلك الأفكار، بل استُخدم الحجاب في حرب استقلال الجزائر لإخفاء العنات النافسة، أو تعبيراً عن «الرفض للاندماج الكامل مع الهوية الفرنسية»¹⁶، وعادت النساء إلى لبس الحجاب بعد التحرر، بل إنهن نقلنه معهن إلى فرنسا خلال «الهجرة نحو الشمال» في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.

وبعد تنامي شعبية اليمين المتطرف في ثمانينيات القرن الماضي، تصاعدت المخاوف الفرنسية بشأن الهجرة والتمدد الإسلامي في فرنسا، وبدأت قضية الحجاب - بصفته رمزاً إسلامياً بارزاً - يهدد الهوية الفرنسية - بالظهور على الساحة الفرنسية. كانت البداية في سبتمبر/أيلول 1989، بعد طرد ثلاث فتيات مسلمات من مدرستهن الثانوية «غابرييل هاز» في مدينة كرييل؛ لغيابهن

¹⁵ Noura Ahmed, Unveiled: France's Inability to Accept Islam, Master's Degree Thesis, Arizona State University, 2017, 28.

¹⁶ Noura Ahmed, Ibid, 44.

المتكرر نتيجة رفضهن خلع الحجاب¹⁷.

وأشير إلى الحادث على أنه (affaires des foulards) أو «قضية الحجاب»، وأثارت اهتماماً إعلامياً واسعاً، وهو ما دفع السلطات الحكومية إلى إحالة القضية إلى مجلس الدولة (أعلى محكمة إدارية في فرنسا). وفي نوفمبر/تشرين الثاني 1989 قرر المجلس أن ارتداء الرموز الدينية البارزة يتوافق مع العلمانية، ما دامت الرموز لا تؤثر في سلوك الطلاب الذين يرتدونها أو فيمن حولهم، مثل تعطيل الفصل أو الضغط على الطلاب الآخرين بما يؤثر في حرياتهم. وقرر المجلس كذلك منح المعلمين الحق في تقييم حالة الطلاب، واستبعاد الذين يُعتقد أنهم متمردون بسبب دينهم¹⁸، وقد أثار هذا القرار السياسيين اليمينيين الذين رأوا فيه قبولاً لرمز يتعارض مع الهوية الفرنسية.

وفي عام 1994 أصدر وزير التعليم فرنسوا بايرو قراراً يحظر جميع الرموز الدينية الظاهرة في المدارس، والذي بموجبه يستطيع مديرو المدارس والمسؤولون المحليون طرد الطلاب الذين لم يلتزموا بالقواعد، ولكن مع ذلك، وعلى مدى السنوات الخمس التالية، دعم مجلس الدولة جميع الطلاب الذين أرادوا ارتداء الحجاب استناداً لحكم 1989، بأن الحجاب لا يتعارض مع العلمانية، ولكون قرار «بايرو» لا يعد قانوناً يجب العمل به¹⁹.

لم تحظ قضية الحجاب بعد ذلك بين 1995 و2000 بأي اهتمام إعلامي وسياسي، إلى أن وقعت أحداث هجمات 11 سبتمبر 2001،

¹⁷ Stephen M. Croucher, French-Muslims and the Hijab: An Analysis of Identity and the Islamic Veil in France, Journal of Intercultural Communication Research, 2008, 202.

¹⁸ Noura Ahmed, Ibid, 36.

¹⁹ Noura Ahmed, Ibid, 39.

التي ارتكبتها «تنظيم القاعدة» على مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة، والتي تناولتها وسائل الإعلام الفرنسية على نحو سلبي، ووُضع المسلمون تحت دائرة المساءلة، وهو ما أدى إلى تصاعد موجات «الإسلاموفوبيا»، وتأجيج مشاعر الخوف من المسلمين، ولا سيما من الممارسات الإسلامية العلنية.

وفي عام 2003، حين كان ساركوزي وزيراً للداخلية، فُرض على النساء خلع الحجاب عند أخذ الصور الرسمية؛ بحجة مخاوف الدولة من الإرهاب. أيضاً، في نفس العام، قدم النائب جاك لانغ للجمعية الوطنية مقترح مشروع حظر جميع الرموز الدينية في المدارس العامة²⁰. وفي يوليو/تموز من السنة نفسها عين الرئيس الفرنسي جاك شيراك برنارد ستاسي على رأس لجنة عرفت باسمه (لجنة ستاسي)؛ لأجل التحقيق فيما إذا كانت الرموز الدينية (الحجاب على وجه الخصوص) متوافقة مع العلمانية، لتمير قانون يحظر الرموز الدينية. وأصدرت اللجنة تقريرها في ديسمبر/كانون الأول 2003، وأيدت الحظر على أساس أنه ينتهك النظام العام لا الحقوق المدنية، إلا أنها اقتصرت في قرار الحظر على المدارس العامة على اعتبار أنه فضاء عام، وكذا على طلاب المدارس دون طلاب الجامعات؛ على افتراض أنهم راشدون بما يكفي لاتخاذ قرارهم بأنفسهم.

وبناءً على تقرير اللجنة أُصدر قانون «حظر الرموز الدينية البارزة في المدارس»، في 15 مارس/آذار 2004، الذي أدمج في قانون التعليم²¹. حظر هذا التشريع الصلبان الكبيرة، والكيبة اليهودية،

²⁰ Noura Ahmed, Ibid, 44.

²¹ عامر فاحوري، حظر الرموز الدينية في فرنسا بين مطرقة العلمانية ومبادئ حقوق الإنسان، المنارة للبحوث والدراسات، المجلد 20، العدد 3، ص 40.

وعمائم السيخ، وأعطية الرأس الإسلامية، في المدارس الفرنسية العامة. إلا أن الحظر لم يتوقف هنا، ففي 13 يوليو/تموز 2010 مُرر على المجلس الوطني الفرنسي مشروع قانون حظر النقاب في الأماكن العامة، تحت مبرر عدم القدرة على تحديد هوية الشخص، وهو ما يسبب المخاوف في الأماكن العامة. وبدأ تنفيذ القرار في 11 أبريل/نيسان 2011، وفُرضت غرامة قدرها 150 يورو (216 دولاراً) على أي امرأة تخالف القانون، الذي يقضي أيضاً بحظر «إخفاء الوجه بحجاب أو قبة أو قناع في الأماكن العامة، أي الشارع والحدائق العامة ومحطات القطار والمتاجر»²².

على الرغم من أن أقلية صغيرة جداً- 2000 امرأة على الأكثر- من مسلمي فرنسا، البالغ عددهم خمسة ملايين، يرتدين النقاب²³، فإن السلطات الفرنسية أصدرت القرار بحجة الدفاع عن اللائكية، وهو ما يتعارض بشكل جوهري مع إعلان حقوق الإنسان الذي يقرر أن «الحرية الدينية هي حق ثابت لكل مواطن». ويرى المدافعون عن الحجاب أنه جزء لا يتجزأ من معتقداتهم وحريةهم الدينية، وأن الدولة بقرارها تجبر أفرادها على التخلي عن جزء من تراثهم الديني لإظهار انتمائهم إلى البلد الذي يعيشون فيه.

إن إصرار الحكومة الفرنسية على جعل نفسها في مواجهة دائمة مع شعائر إسلامية «غير مطبقة» بشكل واسع داخل حدودها، دون أن تسعى في المقابل إلى معالجة المشاكل الحقيقية التي يعانيها المهاجرون المسلمون كثيراً، يُظهر استراتيجية الحكومة

²² الحظر الفرنسي لغطاء الوجه، ويكيبيديا، (د.ت)، تاريخ الاطلاع: (2020/1/12). <https://cutt.ly/FhnUqEP>.

²³ The Associated Press, Veiled women arrested at Paris protest, CBC News, (112011/04), Accessed (302020/11/). <https://0i.is/yrr2>

في التعامل مع مطالب الأقليات. إذ إن فرنسا تسعى دوماً إلى إثبات أن تمسك المسلمين «بقيم مختلفة» هو السبب الرئيس في عدم قدرتهم على خلق أي إنجاز اقتصادي واجتماعي حقيقي داخل المجتمع الفرنسي، دون أن تدخل نفسها في معادلة إصلاح أوضاع الأقليات المسلمة.

لقد أرهقت «معضلة الحجاب» المسلمات في فرنسا قرابة أربعة عقود، وجعلتهن عرضة للعديد من الاعتداءات الجسدية أو اللفظية، فقد مثلن نسبة 77٪ من ضحايا الاعتداءات العنصرية ضد المسلمين بين عامي 2011 و2012، بعد قرار حظر النقاب قيد التنفيذ²⁴. وقد تفاوتت النسبة هبوطاً وصعوداً في السنوات اللاحقة، ولكن الثابت فيها هو استمرار الصورة النمطية في وضع الحجاب والمسلمات تحت طائل الشبهة الإرهابية والتمييز العنصري والاعتداءات المتجاوز عن تغطيتها أو استنكارها، دون تحرك حكومي لمواجهة ما تتعرض له المسلمات المحجبات على أراضيها.

5- التيارات السياسية في فرنسا وعلاقتها بالمسلمين

يمكن تقسيم الأحزاب السياسية الفرنسية بالنسبة إلى مواقفها تجاه المسلمين إلى فئتين: فئة معادية بشكل صريح، ورافضة لوجودهم داخل فرنسا، وأخرى ترى في الجالية الإسلامية أقلية فقيرة مهمشة ضحية للنظام السياسي والاقتصادي الفرنسي خلال فترات متعاقبة، ولكنها أيضاً تسعى إلى تنظيم المسلمين بما يتفق مع «روح العلمانية».

²⁴ Angelique Chrisafis, France's headscarf war: 'It's an attack on freedom, The Guardian (222013/07/), Accessed (302020/11/). <https://0i.is/k4o6>

حزب الجبهة الوطنية بقيادة جون لوبين، ثم ابنته ماريين لوبين، يعد أبرز الأحزاب اليمينية المتطرفة التي تتبنى سياسة معادية ضد كل ما ليس فرنسياً أبيض كاثوليكياً. ويقدم نفسه على أنه منقذ لفرنسا وأوروبا من المسلمين، ولهذا أسس لنظرية «الاستبدال الكبير» المستخدمة حالياً على نطاق واسع في جميع دوائر اليمين المتطرف في أوروبا وبقية العالم، والتي كان الإرهابي النيوزيلندي قد أشار إليها في رسالته التي تركها عند المجزرة التي ارتكبتها بحق 49 مسلماً في صلاة الجمعة.

تؤمن الجبهة الوطنية بوجود اختلاف ثقافي (بين الفرنسيين والمهاجرين)، وهو ما دفعهم إلى تبني فكرة الدفاع عن «التفضيل الأوروبي» وحمائته لقيم التنوير من «هجمة العرب البربرية». فقد استمر الحزب في سياسة رفض المهاجرين المسلمين (خاصة من شمال إفريقيا) منذ تأسيسه 1972، على اعتبار أن المهاجرين فئة عرقية بعيدة كل البعد عن القيم الأوروبية والثقافة الغربية، ولا يمكنهم بأي حال من الأحوال أن ينصهروا بشكل تام في الأمة الفرنسية، ولذلك يُعد من أهم الأحزاب التي تتفاعل مع جميع القضايا التي تمس الإسلام والمسلمين، ويدعو إلى تنظيمها بشدة تحت مبادئ الجمهورية الفرنسية، فعلى سبيل المثال كان الحزب من أهم الحاشدين لقانون منع الرموز الدينية في عام 2004.

بالنسبة لأحزاب اليسار- المعتدل منها والمتطرف- تمثل أقل الهيئات السياسية عداً للمسلمين، وغالباً تكون خطاباتها أقل حدة مقارنة بالأحزاب اليمينية واليمينية المتطرفة. وعلى الرغم من أن هذه الأحزاب تنظر إلى مشاكل الجالية الإسلامية والمهاجرين على أنها نتيجة فشل إداري وسوء تنظيم مجتمعي فإنهم لم

يقدموا أي أطروحات لمعالجة قضايا المسلمين ومنحهم الحقوق والمطالب التي يطالب بها المهاجرون، وربما يعود ذلك إلى حرصهم على الحفاظ على أصوات مؤيديهم من أن تذهب بعيداً إلى اليمين واليمين المتطرف.

سياقات المقاطعة والغضب من فرنسا

تمثل حادثة قتل المعلم الفرنسي التي كانت الشرارة لانطلاق الموجة الحالية من الإسلاموفوبيا، وما ولدته من ردود فعل إسلامية شعبية ورسمية، تكراراً لقصة صحيفة «يولانديس بوستن» الدنماركية، التي نشرت 12 صورة كاريكاتورية في عام 2005 تسيء للنبي صلى الله عليه وسلم، وما تبعه من إعادة نشر في عدة صحف أوروبية (النرويج وألمانيا وفرنسا)²⁵. أثار نشر تلك الرسوم الكاريكاتورية موجة غضب عارمة في العالم الإسلامي، ومقاطعة واسعة النطاق للعديد من المنتجات الأوروبية، وعلى رأسها الدنماركية.

حاولت الدنمارك بعد حملة المقاطعات الواسعة التي واجهتها أن تتجنب السبل المؤدية إلى تكرار الغضب الإسلامي. في حين لم تتوقف فرنسا عن إعادة نشر الرسوم، ففي عام 2006 نشرت صحيفة «شارلي إيبدو» عدداً من الرسوم المسيئة، ونجم عن الاستهداف الممنهج المتواصل للإسلام من طرف الجريدة بشكل متواصل مهاجمة مسلحين مقر الصحيفة في باريس، وقتل حينها 12 عضواً من هيئة تحريرها، في يناير/كانون الثاني 2015. وقد زادهما ذلك تعنتاً؛ فأعدت نشر الرسوم المسيئة في سبتمبر/أيلول من السنة نفسها، بالتزامن مع بدء محاكمة عدد من المتهمين بعلاقتهم مع مهاجمي مقر الصحيفة، وهذا ما يظهر تعمداً وإصراراً من الصحيفة على الإساءة.

يبدو -من خلال هذه الممارسات- أن فرنسا ذات العقلية الاستعمارية الاستعلائية لم تستوعب فكرة تجنب إثارة غضب

²⁵ علاء عبد الرحمن، هذه قصة رسوم فرنسا المسيئة.. وحملة المقاطعة، موقع عربي، 21، (2020/10/26)، تاريخ

الاطلاع: (2020/11/30). <https://cutt.ly/WhnSOlu>

المسلمين على نحو مستمر، ويبقى أمامها خياران؛ إما مواصلة نهجها رغم مخاطره، أو أن تدفع الأحداث الحالية السلطات إلى اتخاذ منهج مغاير لمنهج إثارة مشاعر المسلمين؛ فالخطاب الفرنسي الأخير لم يقتصر على مهاجمة «الشعائر الإسلامية» في نطاقه الداخلي، بل توسع عالمياً لتعرض فرنسا لأسوأ أزمة خارجية مع العالم الإسلامي في العصر الحديث.

1- خلفيات الغضب «الإسلامي» من فرنسا

في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول 2020، أعلن ماكرون، في خطابه بإحدى ضواحي باريس المكتظة بالمهاجرين، أنه يجب على فرنسا «مواجهة الانعزالية الإسلامية»، التي تسعى إلى «إقامة نظام مواز» و«إنكار الجمهورية»، ولتحقيق هذا الغرض فقد أعلن خطته لمشروع قانون يعتزم رفعه إلى مجلس الدولة الفرنسي²⁶.

ماكرون لم يكتفِ بتوجيه خطابه نحو ما أسماه بـ«الإسلام السياسي»، وإنما صرّح أيضاً بأن الدين الإسلامي «يمر بأزمة في جميع أنحاء العالم»، وهذا ما خلق نوعاً من الاستياء والغضب في العالم الإسلامي.

بعد ذلك، في 16 أكتوبر/تشرين الأول، أعلنت الشرطة الفرنسية أنها قتلت بالرصاص شاباً شيشاني الأصل بعدما قتل معلمه الذي عرض رسوماً كاريكاتورية «مسيئة» للنبي محمد في إحدى حصص «التاريخ المعاصر» في إحدى مدارس ضواحي باريس.

فرنسا أعربت عن تنديدها الشديد وإصرارها على المضي قدماً في تشريعاتها الخاصة بالمسلمين على أراضيها. كما شجعت

²⁶ ماكرون يدعو إلى التصدي «للنزعة الإسلامية الراديكالية» الساعية إلى «إقامة نظام مواز» في فرنسا، موقع قناة فرنسا 24، (2020/10/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/30). <https://cutt.ly/FhnGnpN>.

على عرض الرسوم المسيئة على المباني العامة في البلاد تحت ستار «حرية التعبير»، و«الدفاع عن القيم الفرنسية». كما أعلن وزير الداخلية الفرنسي، جيرالد درمانان، عن تسريع الخطة الأمنية في «مكافحة التطرف الإسلامي»، ضد عدد من الجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي وصفها بأنها مسؤولة من خلال «التواطؤ والتحرير» على جريمة مقتل الأستاذ صمويل باقي، ووفقاً لهذه الخطة فقد تقرر مرسوم حل «جمعية البركة سيتي»، و«جمعية مناهضة الإسلاموفوبيا في فرنسا»²⁷.

توالت على الساحة الفرنسية الأحداث التي تشجع الرواية الحكومية حول «انفصالية المسلمين»، ففي 29 أكتوبر/تشرين الأول قُتل ثلاثة أشخاص في هجوم على كنيسة في مدينة نيس، وذكر مسؤولو المدينة أن منفذ الهجوم شاب تونسي وصل إلى فرنسا مؤخراً، ووصف ماكرون الحادث بـ«الهجوم الإرهابي الإسلامي»، في حين ذكر وزير داخلته أن فرنسا «في حالة حرب مع أيديولوجية الإسلاميين المتشددين»²⁸.

أدانت أغلب الدول، ومن ضمنها الإسلامية، تلك الهجمات، معبرة عن دعمها الكامل للدولة الفرنسية، ولكن في الوقت نفسه كانت هناك موجة غضب شعبية إسلامية وتنديدات من مختلف حكومات العالم الإسلامي على خلفية الرسوم الكاريكاتورية وتصريحات ماكرون المدافعة عنها، وأطلقت حملات مقاطعة للمنتجات الفرنسية رداً على الإساءة التي تعرضوا لها من قبل الدولة الفرنسية.

²⁷ فرنسا تقرر حل جمعية «بركة سيتي» الإسلامية، وكالة «سبوتنيك» الإخبارية الروسية بالعربي، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/30). <https://sptnkne.ws/Eg8N>

²⁸ هجوم نيس: ماكرون يعقد اجتماعاً أمنياً طارئاً رفيع المستوى، وتحذيرات قوية للفرنسيين بالخارج، BBC (29/10/2020)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/1). <https://0i.is/v0aK>

ولهذا اتجه ماكرون نحو قناة الجزيرة بعد أن شعرت فرنسا أن الأمور آخذة في التصعيد ولا بد من تحريك لإطفاء فتيل الغضب الإسلامي. ذكر ماكرون في مقابله مع الجزيرة أن «الأخبار التي نقلت أنه يدعم الرسوم المسيئة للرسول الكريم أخبار مضللة ومقتطعة من سياقها»، مؤكداً أنه ليس لديه أي مشكلة مع الإسلام، وإنما معركته «ضد الإرهاب والتطرف»، واصفاً حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية بأنها «غير لائقة»²⁹. وبعد مقابله مع قناة الجزيرة عاد الرئيس الفرنسي إلى تصريحاته المدافعة عن حرية التعبير، والمتضامنة مع أهالي الضحايا الذين سقطوا نتيجة الهجمات «الإرهابية الإسلامية»، حسب وصفه.

2- المواقف الرسمية والشعبية تجاه الرسوم المسيئة

أثارت قضية الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتصريحات ماكرون بشأنها موجة غضب في أنحاء العالم الإسلامي، وقد تفاوت الرد العربي والإسلامي الرسمي بين الاستنكار المتأخر وبين الرفض الصريح لهذه التصريحات، أما ردود الفعل الشعبية فقد كانت ثابتة وموحدة في معظم الدول الإسلامية والعربية، حيث أطلقت حملات مقاطعة للمنتجات والبضائع الفرنسية، وتصدرت أوسمة المقاطعة وسائل التواصل الاجتماعي، وجابت المظاهرات الشعبية الغاضبة المدن والعواصم الإسلامية تنديداً بالرسوم المسيئة وتصريحات الرئيس الفرنسي.

ولكن عند المقارنة بين الردود الرسمية والشعبية في عام 2005 و2020 يلاحظ أن الردود الشعبية حافظت على زخمها، في حين خفتت الردود الرسمية عما كانت عليه في عام 2005. حيث

²⁹ ماكرون عن الرسوم المسيئة: لن نتخلى عن حرية التعبير...، موقع الجزيرة نت، (2020/11/16)، تاريخ

الاطلاع: (2020/1/12). <https://0i.is/xWFd>

كان التحرك الرسمي للسعودية وتركيا والجزائر ومصر وإيران وباكستان، وغيرها من الدول الإسلامية، أكثر حزمًا؛ بتوجيه رسالة رسمية للاجتماع العاجل مع رئيس وزراء الدنمارك، أندرس فوغ راسموسن، الذي اعتذر لاحقاً عنه، فضلاً عن سحب سفراء السعودية والأردن وسوريا وإيران من الدنمارك، وإغلاق السفارة الدنماركية في ليبيا، وتشجيع رسمي للمقاطعة الشعبية من قبل الحكومة في مصر، وتهديد رسمي بالمقاطعة؛ كمطالبة البحرين بالاعتذار عن نشر الرسوم أو التهديد بقطع 159,000 برميل من النفط يومياً في حال عدم تقديم اعتذار، وكذلك جمّدت وزارة النقل والمواصلات العراقية عقود العمل مع الدنمارك³⁰.

وفيما يلي أهم محطات التحركات الشعبية للعالم الإسلامي تجاه الرسوم المسيئة، والمواقف الحكومية التي عبرت عن رفضها واستنكارها للخطاب الرسمي الفرنسي الذي أعطى أحقية النشر تحت مبدأ «حرية التعبير»:

أ. مواقف المنطقة العربية

- دول الخليج العربي والشام

كانت الكويت من أوائل الدول العربية التي استجابت لحمات المقاطعة الشعبية، فبدأت عشرات الجمعيات الاستهلاكية في الكويت بسحب المنتجات الفرنسية من رفوفها، وعلقت لافتات تدعو إلى مقاطعة المنتجات «حتى إشعار آخر». تبعت الحملة الكويتية حملة أخرى قطرية، بالترافق مع قرار إدارة جامعة قطر بتأجيل فعالية الأسبوع الفرنسي الثقافي إلى أجل غير مسمى؛ وذلك «عظفاً على آخر المستجدات المتعلقة بالإساءة

³⁰ الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد في صحيفة يولانديس بوستن، موسوعة ويكيديا، (بدون)، تاريخ

الاطلاع: (2020/12/2). <https://cutt.ly/vhYzwtv>

المتعمدة للإسلام ورموزه»³¹.

كما أطلق ناشطون سعوديون دعوات للمقاطعة تحت وسم #مقاطعه_المنتجات_الفرنسية؛ وذلك بهدف إلحاق خسائر اقتصادية بفرنسا؛ رداً على الكاريكاتور المسيء وأفعال النظام الفرنسي ضد الإسلام والمسلمين³². كما أدانت الحكومة السعودية العمل الإرهابي بعد قطع رأس مدرس بالقرب من باريس لعرضه رسوماً كاريكاتورية، وصرحت أيضاً أنها «ترفض أي محاولة للربط بين الإسلام والإرهاب»³³.

وفي سلطنة عُمان، دعا مفتي السلطنة، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، في 26 أكتوبر/تشرين الأول 2020، لمقاطعة المنتجات الفرنسية رداً على دعم الرئيس الفرنسي للرسوم الكاريكاتورية المسيئة، ودعا إلى سحب رؤوس الأموال من المؤسسات الاقتصادية الفرنسية³⁴.

الأردن، على المستوى الشعبي، انضم بكثافة لحملة المقاطعة، وشارك عدد كبير من المتاجر في تلك الحملة، وعبر- على المستوى الرسمي- عن استيائه من إعادة نشر الرسوم، واعتبر ذلك «استهدافاً واضحاً للرموز والمعتقدات والمقدسات الدينية»³⁵، فضلاً عن استدعاء السفارة الفرنسية لدى الأردن، فيرونيك فولاند، وإبلاغها باحتجاج عمّان على استمرار نشر الرسوم

31 «نصرة للنبي».. جمعيات تجارية عربية تعلن مقاطعة منتجات فرنسية، وكالة الأناضول، (2020/10/24)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/24). <https://cutt.ly/WhnLgUj>

32 الوطن العربي ينتفض لنصرة رسول الله من المحيط إلى الخليج لمقاطعة البضائع الفرنسية، الأمة برس، (2020/10/23)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/24). <https://0i.is/1oeZ>

33 السعودية: نرفض أي محاولة للربط بين الإسلام والإرهاب، موقع العرب، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/lhnLrGN>

34 مفتي عُمان يشيد بمقاطعة فرنسا ويدعو لسحب الاستثمارات منها، الخليج أونلاين، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <http://khaleej.online/wxyRR7>

35 الأردن: الرسوم المسيئة استهداف واضح للمقدسات الدينية، وكالة الأناضول، (2020/10/24)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/ohnKlel>

المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتي «تسبب الأذى لنحو ملياري مسلم حول العالم»³⁶.

- دول المغرب العربي

أعلنت وزارة الخارجية المغربية إدانتها بشدة «للإمعان في نشر رسوم الكاريكاتور المسيئة للإسلام وللرسول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام»³⁷، وفي الجزائر أصدر المجلس الإسلامي الأعلى التابع للرئاسة بياناً استنكر فيه بشدة «الحملة المسعورة على شخصية سيدنا محمد»، ودعا «عقلاء العالم والمنظمات الدينية وهيئات حقوق الإنسان وحوار الأديان إلى مجابهة هذا الخطاب المتطرف للإنساني»³⁸.

كما انطلق عدد من الحملات الشعبية في وسائل التواصل الاجتماعي لمقاطعة البضائع الفرنسية، امتدت إلى كل دول المغرب العربي التي تعد سوقاً استهلاكية قوية للبضائع الفرنسية، حيث نشر نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي صوراً بقائمة المنتجات الفرنسية التي يستهلكها المواطنون بشكل مستمر في حياتهم اليومية، وحثوا على استبدالها بمنتجات أخرى نصره للنبي محمد صلى الله عليه وسلم³⁹.

يمكن القول إن دعوات المقاطعة الشعبية امتدت إلى كل الدول العربية، وتفاعلت شعوب المنطقة مع حملات مقاطعة المنتجات

36 الأردن يستدعي سفيرة فرنسا ويبلغها رفضه موقف ماكرون من الرسوم المسيئة، الخليج الجديد، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/YhnKb8e>

37 حملات شعبية لمقاطعة البضائع الفرنسية.. 9 دول عربية وإسلامية أصدرت مواقف بشأن الرسوم المسيئة، موقع الجزيرة الإخباري، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/7hLCy8Z>

38 «إساءة» ماكرون للرسول.. الأردن مستاء والجزائر تستنكر، وكالة الأناضول، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/9hZCiYD>

39 دول المغرب العربي تبحث عن بدائل للبضائع الفرنسية: تصاعد حملات المقاطعة، العربي الجديد، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/4hLBuKT>

بنسب متفاوتة. كما أعربت حكومات المنطقة، كمصر وتونس وموريتانيا، وغيرها من الدول، عن استنكارها لاستهداف الإسلام «بدعوى حرية التعبير»، ودعت إلى عدم استهداف مشاعر المسلمين تحت أي ذريعة.

ب. ردود الدول الإسلامية

لم تقتصر ردود الفعل على الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم على الدول العربية، فقد كانت هناك مواقف مماثلة في الدول الإسلامية المعنية هي الأخرى بالموضوع، وهذه نماذج عن بعضها.

تأتي تركيا في مقدمة الدول الإسلامية التي تصدرت المواجهة مع فرنسا؛ نظراً لتصاعد الخلافات السياسية بينهما مؤخراً على خلفية عدة قضايا في المنطقة، من التدخل العسكري التركي في ليبيا وسوريا، حتى التطورات الأخيرة في أذربيجان وشرق البحر الأبيض المتوسط. لذ كان التفاعل الرسمي التركي مع تصريحات ماكرون أكثر حدة، فقد دعا الرئيس رجب طيب أردوغان شعبه إلى مقاطعة المنتجات الفرنسية، وصرح أردوغان أن «التهجم على الإسلام والمسلمين بدأ بتشجيع من زعيم فرنسا (ماكرون) المحتاج لعلاج عقلي»، مضيفاً أن «العداء للإسلام والمسلمين أصبح سياسة مدعومة على مستوى الرؤساء في بعض الدول الأوروبية»، مطالباً القادة الأوروبيين بوضع حد لما وصفه بـ«حملة الكراهية»، التي يتزعمها الرئيس الفرنسي⁴⁰.

وقد دفعت مواقف الحكومة التركية الحكومة الفرنسية إلى استدعاء سفيرها في أنقرة رداً على تصريحات أردوغان، فضلاً

⁴⁰ إسماعيل جمال، أردوغان يواصل هجومه الحاد على ماكرون ويدعو الشعب التركي لمقاطعة المنتجات الفرنسية، القدس العربي، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29). <https://cutt.ly/jhnMjmE>

عن الرد بالمثل من خلال مقاطعة المنتجات التركية.

لقد نجح أردوغان في توظيف فشل ماكرون في خطابه تجاه الإسلام في التنافس الجيوسياسي الحاصل بين الدولتين؛ ففرنسا لا تزال من أشد المعارضين لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، لرفضها فكرة دخول أكثر من ثمانين مليون مسلم إلى الاتحاد، بالإضافة إلى صراع النفوذ بين البلدين في منطقة المتوسط وما حولها، وغيرها من الأزمات السياسية بينهما.

وفي حال استمرار دعوات المقاطعة المتبادلة بين الطرفين فإن النتائج ستكون كارثية على اقتصاديهما، ولا سيما في ظل الأزمة الاقتصادية التي خلفتها جائحة فيروس كورونا، نظراً لكون حجم التبادل التجاري بين البلدين كبيراً جداً؛ حيث تستورد تركيا من فرنسا بضائع بقيمة 6.6 مليارات دولار سنوياً، في حين تبلغ واردات فرنسا من البضائع التركية ما قيمته 8.2 مليارات دولار في السنة.

باكستان من جهتها أظهرت مساندة لافتة لقضية الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ندد رئيس وزرائها، عمران خان، بشكل صريح بالإساءة، واتهم خان «الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بمهاجمة الإسلام، بعد دفاعه عن نشر الرسوم الكاريكاتورية»⁴¹. كذلك استدعت الخارجية الباكستانية السفير الفرنسي لدى إسلام آباد، للاحتجاج الشديد على دعم النظام الفرنسي لإعادة نشر الرسوم المسيئة.

كذلك استدعت طهران القائم بالأعمال الفرنسي في طهران، فلوران إيدالو، احتجاجاً على «إصرار» المسؤولين الفرنسيين

⁴¹ رئيس الوزراء الباكستاني يتهم الرئيس الفرنسي بـ«مهاجمة الإسلام»، موقع يورونيوز، (2020/10/25)، تاريخ

الاطلاع: (2020/11/29). <https://0i.is/dDtB>

على دعم نشر الكاريكاتور المسيء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم⁴². وندد الرئيس روجاني بموقف باريس حيال الأزمة، ودعا «الغرب وفرنسا وأوروبا إلى الكف عن التدخل في شؤون المسلمين».

جاكرتا أعربت هي الأخرى عن إدانتها البالغة لتصريحات الرئيس الفرنسي المسيئة للإسلام وللرسول، فضلاً عن استدعاء السفير الفرنسي لديها، أوليفيه جامبارد، وطلبت توضيحات جلية منه بشأن تصريحات ماكرون الأخيرة⁴³. أما بالنسبة للتحركات الشعبية، فقد شهدت البلاد العديد من التحركات الشعبية والمظاهرات وحملة المقاطعة، ودعت مؤسسات المجتمع المدني الماليزي إلى مقاطعة المنتجات الاستهلاكية الفرنسية، واستدعت الحكومة الماليزية القائم بأعمال السفارة الفرنسية، وأكدت «الإدانة الشديدة للخطابات الاستفزازية التي تهدف للإساءة إلى الإسلام»⁴⁴.

ج. مواقف المؤسسات الدينية الإسلامية

تبني العديد من المنظمات والمؤسسات الإسلامية موقف التنديد والاستياء من الإساءة التي مارسها النظام الفرنسي ضد المسلمين في مختلف أنحاء العالم تحت مفهوم حرية التعبير. حيث عبرت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي عن أسفها ل«استمرار هجوم فرنسا المنظم على مشاعر المسلمين بالإساءة إلى الرموز

⁴² إيران تستدعي القائم بأعمال فرنسا: رد سلطاتكم على المتطرفين يفتقر للعقل، CNN بالعربية، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29). <https://oi.is/Dt1L>

⁴³ إندونيسيا تستدعي سفير فرنسا للاحتجاج على تصريحات «ماكرون»، موقع عين ليبيا، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/ghn2Wsd>

⁴⁴ الحكومة الماليزية تستدعي القائم بأعمال السفارة الفرنسية، وكالة الأناضول، (2020/10/29)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/Shn2AZl>

الدينية»⁴⁵. كذلك أعلن مجلس حكماء المسلمين عن قرار تشكيل لجنة من الخبراء القانونيين الدوليين لرفع عدد من الدعاوى القضائية ضد صحيفة «شارلي إيبدو»، وكذا ضد «كل من يسيء للإسلام ورموزه المقدسة»⁴⁶. وأعلن شيخ الأزهر، أحمد الطيب، إطلاق منصة متعددة اللغات للتعريف بنبي الإسلام، ودعا إلى إقرار تشريع عالمي «يجرم معاداة المسلمين»⁴⁷، حتى لا تستمر الإساءة لرموز الدين الإسلامي أو التصريحات المعادية للمسلمين تحت مصطلح حرية التعبير.

وعبرت مشيخة جامع «الزيتونة المعمور» عن تنديدها واستنكارها الشديد «للهجمة المنظمة على مقدسات الإسلام واستفزاز مشاعر المسلمين الصادرة عن الرئيس الفرنسي وحكومته»، ودعت الشعوب الإسلامية إلى «مقاطعة البضائع والشركات الفرنسية حتى تعتذر حكومة باريس عن إساءتها المتكررة، واعتداءاتها على المسلمين ومقدساتهم»⁴⁸.

تواصلت تصريحات الإدانة من أغلب الجمعيات والمؤسسات الإسلامية، فقد أصدرت الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء في السعودية بياناً صرحت فيه أن «الإساءة إلى مقامات الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام لن يضر أنبياء الله ورسوله شيئاً، وإنما يخدم أصحاب الدعوات المتطرفة الذين يريدون

⁴⁵ ردود فعل عربية غاضبة ضد تصريحات ماكرون ودعوات لمقاطعة البضائع الفرنسية، موقع الجزيرة نت، (2020/10/23)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/24). <https://cutt.ly/whn2xB9>

⁴⁶ «مجلس حكماء المسلمين» يعترزم مقاضاة صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية وكل من يسيء للإسلام، فرانس 24، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29). <https://cutt.ly/Lhn2eMy>

⁴⁷ الأزهر يطلق منصة للتعريف بالنبي وشيخه يدعو لإقرار تشريع عالمي يجرم معاداة المسلمين، فرانس 24، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29). <https://cutt.ly/9hn0FND>

⁴⁸ تونس.. مشيخة «الزيتونة» تدعو إلى مقاطعة بضائع فرنسا، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/ohLPm7C>

نشر أجواء الكراهية بين المجتمعات الإنسانية»⁴⁹.

وأدان اتحاد علماء إفريقيا الإساءة الفرنسية لنبي الإسلام، وطالب السلطات الفرنسية بالتراجع عن هذا الموقف المسيء إلى المسلمين في أرجاء العالم والاعتذار عنه⁵⁰.

وكذا أعلنت رابطة العالم الإسلامي إدانتها لأساليب الإساءة لأتباع الدين الإسلامي من خلال استهداف رموزه الدينية وغيرها من المؤسسات الإسلامية، وشددت على أن «حرية الرأي متى ما خرجت عن قيم احترام مشاعر الآخرين فإنها تسيء للمعنى الأخلاقي للحريات، ولمقاصد التشريعات الدستورية والقانونية التي أكدت ضمان حرية إبداء الرأي بأي أسلوب مشروع»⁵¹.

كذلك، امتدت تصريحات الإدانة إلى العديد من الجاليات الإسلامية في مختلف بقاع العالم، فعبّرت عن استنكارها للحملات المعادية للإسلام والمسلمين.

في المقابل، كان هناك اصطفاة أوروبي إلى جانب فرنسا، فقد أكد وزير الخارجية البريطاني وقوف بلاده إلى جانب فرنسا بعد جريمة قتل المعلم الفرنسي، وأعلنت ألمانيا واليونان والنمسا وهولندا وإيطاليا «كامل الدعم والتضامن مع فرنسا» في دفاعها عن حرية التعبير، منددين بتصريحات الرئيس التركي عن الرئيس ماكرون.

49 هيئة كبار العلماء السعودية: الإساءة للأنبياء لا تمت لحرية التعبير بصله وخدمة مجانية للمتطرفين، موقع CNN بالعربي، (2020/10/25)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://0i.is/BOIA>

50 اتحاد علماء أفريقيا يدين الموقف الفرنسي المسيء للإسلام، موقع مجلة المجتمع، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://0i.is/k6sH>

51 «رابطة العالم الإسلامي»: الرسوم المسيئة لا تمثل سوى أصحابها، موقع جريدة الشرق الأوسط، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/NhLOcT7>

خلفيات التصادم بين فرنسا و «الإسلام» في عهد الرئيس ماكرون

جاء ماكرون إلى السلطة في 14 مايو/أيار 2017 عن حزب «الجمهورية إلى الأمام»، مقدماً نفسه على أنه رئيس وسطي وينتهج النهج الديجولي (رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة)، مدافعاً عن أسس الجمهورية ومبادئها وحاملاً لشعار «يدعم مطالب المهاجرين والجالية المسلمة». حصل ماكرون على تأييد المسلمين واستقطب حوالي 6% من أصوات الناخبين الفرنسيين المسلمين، وتمكن من الفوز والوصول إلى قصر الإليزيه. لكن بعد ثلاث سنوات من انتخابه، شرع في سياسة محاربة ما وصفه بـ«الإسلاموية» أو «الإسلام الموازي»، وحمل نفس خطاب «العنصرية والكراهية» الذي كان قد اتهم منافسيه بتبنيه في انتخابات 2017. فهل كان لمهاجمة الرئيس الفرنسي لفئة معينة من شعبه أسباب موضوعية؟ وهل تعاني فرنسا فعلاً من إنشاء المسلمين «بمجتمع مواز» داخل الأراضي الفرنسية؟ أم هناك دوافع أخرى جعلت ماكرون يتجه نحو اتخاذ هذا القرار؟

1- المقاربات التشريعية الفرنسية للإسلام داخل فرنسا

ما يقوم به الرئيس ماكرون ليس جديداً على الساحة الفرنسية، بل له سوابق تاريخية؛ فبعد أن أصبح الإسلام الديانة الثانية في بلد يرفع راية اللائكية ومحاربة أي رمز يرتبط بالدين، بدأت الأصوات المتطرفة المحذرة من أسلمة فرنسا تدفع بالحكومة الفرنسية إلى وضع الإجراءات والتدابير اللازمة للحفاظ على الهوية الفرنسية، التي أصبحت غير واضحة بسبب تدفق المهاجرين، الذين لطالما نُظر إليهم على أنهم «عمال ضيوف» مقدر لهم العودة إلى ديارهم.

كثيراً ما أثّرت في سياسة فرنسا الداخلية قضية الهوية ومجال العلاقة بين الدين والهوية في فرنسا، ولهذا وُضعت معايير لملاحظة مدى استيعاب المرء المسلم للثقافة الفرنسية من خلال قياس معدل تكرار الصلاة في المسجد، بهدف البحث عن مدى اقتراب سلوكه من النموذج الفرنسي العام؛ «اختزال الدين إلى المجال الخاص وتقليل كثافة الممارسات الدينية». فقد أظهر الجيل الأول -وفق مؤشرات حكومية- عدم اتباع الممارسات الدينية بشكل كبير، وزيارات أقل إلى البلد الأم، وهو ما عُد مؤشراً إيجابياً على «الاستيعاب الكافي للثقافة الفرنسية»، بل إن الجيل الثاني من المهاجرين العرب والمسلمين كاد يفقد هويته الذاتية ويقترب إلى الشكل الفرنسي في حياته اليومية. ومع ذلك ترفض فرنسا كل عام ثلث المتقدمين لنيل الجنسية، وإن كان بعض هؤلاء المرشحين قد استوفوا كامل الشروط الرسمية للتجنس، وذلك بحجة عدم استيعابهم الكافي لـ«الهوية الفرنسية»⁵².

شكل الجيل الثاني مستوى أفضل في الاندماج داخل الهوية الفرنسية، ولكنه في الوقت نفسه لم يمتلك أي روابط تجمععه بمحيطه الفرنسي، وعانى دوماً التهميش والرفض، وذلك أدى إلى خلق «أزمة هوية للمهاجرين»، وظهرت عدة حركات تطالب بالتخلي عن سياسة الإقصاء السياسي والاجتماعي للشباب العرب، ولكن بدلاً من أخذ مطالب الاعتراف الثقافي والتكامل الاقتصادي على محمل الجد، لم تستجب السلطات الفرنسية لأي منها، وضاعفت من إحباط الحركات المطالبة وشجعتهم «من غير قصد» على تشكيل ولاءات على أساس التراث العرقي أو الخلفية الدينية، وكانت هذه هي بدايات «التحركات الإسلامية» من

⁵² John R. Bowen, Islam in/of France: Dilemma of trans-locality, Conference of the Europeanists, 2002, 6.

جانب بعض الشباب المستبعبدين، ولكنها عكست واستغلت من جانب الأحزاب اليمينية المتطرفة فيما بعد.

شعرت الحكومة الفرنسية أنه ليس من مصلحتها مواجهة مطالب المسلمين وعزلهم تماماً عن فضاء تشريعات الدولة الفرنسية، لهذا اتجهت، في 28 مايو/أيار 2003، إلى تأسيس «المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية»، ليكون مؤسسة شبه رسمية تعنى بتنظيم حياة المسلمين الدينية. كانت مهمة المجلس تحديد تواريخ المناسبات الدينية للمسلمين، وتنظيم مسألة الأكل الحلال، وتعيين الأئمة، وغيرها من المسائل. ثم أعلن وزير الداخلية الفرنسي دومينيك دو فيلبان، في 21 مارس/آذار 2005، إنشاء مؤسسة «إسلام فرنسا»، وكلت إليها مهام تنظيم شؤون العبادة والمسائل الثقافية للمسلمين في فرنسا، بالإضافة إلى ترسيم ضرائب على تجارة اللحوم الحلال ورحلات الحج إلى مكة المكرمة.

ومع ذلك لم تتوقف القرارات الحكومية التي تفرض استيعاب الهوية العلمانية الفرنسية على المجتمع المسلم، الذي نتج عنه خلق العديد من الانقسامات داخل المجتمع الفرنسي، وجعل المسلمين غطاء لتحميلهم فشل الحكومة في عملية اندماجهم في المجتمع، بل وجعلهم عرضة للاعتداءات من أفراد المجتمع الفرنسي نفسه؛ إذ تشهد الاعتداءات العنصرية على المسلمين في فرنسا ارتفاعاً مطرداً، خاصة مع تنامي الجهات اليمينية المتطرفة. فخلال عام 2019 كان عدد الاعتداءات على المسلمين 154 اعتداءً، في حين شهد عام 2018 مئة اعتداء⁵³. ونتيجة لارتفاع أعداد تلك الهجمات، ينظم عدد من الجمعيات الإسلامية مسيرات

⁵³ ارتفاع حاد في نسبة الهجمات ضد المسلمين بفرنسا، موقع الجزيرة نت، (2020/10/1)، تاريخ الاطلاع:

<https://cutt.ly/Khn9CNt>. (2020/11/22)

مناهضة لظاهرة (الإسلاموفوبيا)، يشارك فيها الآلاف، من بينهم أعضاء من أحزاب اليسار، مطالبين بوقف جميع مظاهر الإقصاء والعنصرية ضد الفرنسيين من معتنقي الديانة الإسلامية⁵⁴.

2- ملخص مشروع قانون ماكرون للانفصال الإسلامي

في سبيل سعي الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لإنشاء نسخة جديدة من الإسلام تتضمن المفاهيم التنويرية في الخطابات الدينية وتضييق الخناق على المعتقدات الإسلامية التي من شأنها أن تؤدي إلى التطرف العنيف، حسب اعتقاده، أعلن ماكرون خطة عمل لمشروع قانون ضد ما أسماه بـ«الانفصالية»، وخاصة «الإسلاموية» منها، على أن يكون تقديم مقترح المشروع إلى مجلس الوزراء في بداية ديسمبر/كانون الأول ثم مناقشته في البرلمان في النصف الأول من عام 2020⁵⁵.

يستهدف المشروع سن عدد من الإجراءات في مجال التعليم و«حيادية» المرافق العامة، وتمويل المساجد وعمل أئمتها، وتحظر استخدام الشعارات والرموز الدينية في المؤسسات العامة التي لا تتوافق مع أسلوب حياة الجمهورية الفرنسية⁵⁶، فهو يهدف إلى التخلص من أي قيم أو هويات «مناهضة» للثوابت الفرنسية.

ويرى أن «الإسلام الراديكالي» أو «الإسلام السياسي» استفاد من غياب الدولة والخدمات العامة والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها أفراد الجالية المسلمة في الأحياء التي يعيشون

54 بعد حوادث استهدفت المسلمين.. آلاف الفرنسيين بمظاهرة حاشدة ضد الإسلاموفوبيا، موقع الجزيرة نت، (2019/11/11)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/22). <https://cutt.ly/Mhn93Xn>

55 فرنسا.. ماكرون يطرح مشروع قانون يستهدف الجالية المسلمة، موقع الجزيرة نت، (2020/10/1)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20). <https://cutt.ly/yhmQj3x>

56 ماكرون يضع خمسة محاور لمواجهة «الانفصالية الإسلامية»، موقع جريدة الشرق الأوسط، (2020/10/3)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20). <https://cutt.ly/uhmQOOGD>

بها في مساعيه إلى إقامة «نظام مغاير» و«بؤر منفصلة» عن قيم الجمهورية الفرنسية وممارساتها.

فهو يرى في التعليم الديني في المراكز الإسلامية سبباً في نزوح الأطفال المسلمين عن المدارس الرسمية، كما يرى في الممارسة الدينية للمسلمين (فصل الرجال عن النساء في الصلاة وغيرها من الشعائر) والأطعمة الحلال الخاصة للتلاميذ المسلمين في المدارس مساساً بالقيم الفرنسية التي أنشئت عليها.

كذلك سيتناول المشروع فرض الرقابة المشددة على الجمعيات والمدارس الخاصة الدينية، وإلزامها بالتوقيع على «قانون احترام قيم الجمهورية»، وأي انتهاك للقانون سيحرم هذه الجمعيات من المساعدة المالية التي تتلقاها من الحكومة أو من الوكالات المحلية.

ويسعى المشروع إلى الحد- وبشكل صارم- من التعليم المنزلي، على اعتبار أن هذا التعليم لا يخضع لرقابة الدولة، وسيستبدل هيكلة تلغي نظام الأئمة المبتعثين (من تركيا والمغرب والجزائر) إلى المساجد الفرنسية، على أن يُستبدل بذلك النظام برنامج تدريب للأئمة ممول من الحكومة الفرنسية، بما يساهم في إنشاء «إسلام مسالم»، بعيداً عن «الإسلام السياسي الجهادي الذي تعاني منه فرنسا».

وأخيراً، سيطرح المشروع هيكلة لتعزيز الرقابة على تمويل المساجد بحيث يتم تنظيم «التمويل الخارجي» دون حظره، ووضع آلية عمل «تمنع استيلاء المتطرفين بأفكارهم على المساجد الفرنسية»⁵⁷.

⁵⁷ إيمانويل ماكرون يتعهد بمحاربة «الانعزال الإسلامي» في فرنسا، BBC عربي، (2020/10/2)، تاريخ الاطلاع:

<https://oi.is/RHsJ>. (2020/11/20)

هذا وقد كان ماكرون طرح «خطة رباعية» في فبراير/شباط 2020 بعد أن زار حي بورتزفيل في مدينة ميلوز شرقي فرنسا، وكانت الخطة تهدف إلى محاربة «الانفصال الإسلامي» في الأحياء الفرنسية، حسب تعبيره، إلا أن جائحة كورونا وآثارها حالت دون المضي بها.

ارتكزت الخطة على أربع نقاط أساسية مشابهة إلى حد كبير لمشروع محاربة «النزعات الانفصالية»، فقد تضمنت: التخلص التدريجي من الأئمة المبعوثين من دول أخرى، والتنسيق مع ممثلي الجالية الإسلامية لمحاربة «الانفصال الإسلامي»، وكذلك تشجيع المسلمين على الاندماج الثقافي فيما يتعلق بقانون المساواة بين الفتيات والفتيان، وأخيراً تناولت «عودة» العروض العامة في مجالات الثقافة والرعاية الصحية والتعليم والتدريب في المناطق السكنية⁵⁸.

يبدو أن ماكرون- على الرغم من استمرار معضلة كورونا- قرر المضي قدماً فيما يراه تهديداً للأراضي الفرنسية من قبل «الأيديولوجيات المتطرفة»، وهو ما عده كثير من المحللين السياسيين استخداماً للإسلام في سبيل تحقيق مكاسب سياسية، ولصرف النظر عن مآزق إدارته الحالية للبلاد.

3- الإسلام "كبش الفداء" لإخفاء إخفاقات سياسات ماكرون

واجهت الحكومة الفرنسية في الآونة الأخيرة عدة أزمات اقتصادية واجتماعية وصحية، ولذلك أراد ماكرون أن يثير قضية جديدة تشغل الرأي العام الداخلي والخارجي، وتخفف الضغط

58 ملامح خطة ماكرون الرباعية ضد «الانفصال» الإسلامي في فرنسا، موقع قناة DW بالعربية، (2020/2/19)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20). <https://cutt.ly/uhmQB1T>

المفروض عليه في إيجاد حلول للأزمات التي تعيشها فرنسا، وإخفاقات إدارته في مكافحة وباء كورونا، وإنعاش الاقتصاد، ومعالجة احتجاج السترات الصفراء، وإصلاح إفلاس سياسته الخارجية في ليبيا وسوريا، وغيرها من الدول. فقد نتج عن فشل إدارة ماكرون في أزمة كورونا تراجع شعبيته بنسبة كبيرة، وذلك قبل فترة فاصلة من الانتخابات الرئاسية في بداية عام 2022، فبحسب استطلاع أجراه معهد (Elabe) - وهو شركة أبحاث واستشارات فرنسية- يعتقد معظم الناس في فرنسا أن الرئيس إيمانويل ماكرون فشل في الاستجابة لأزمة وباء كورونا، ويرى 61٪ من المستطلعين أن ماكرون لم يتعامل بشكل جيد مع الأزمة⁵⁹.

فضلاً عن نتائج انتخابات البلديات لعام 2020، التي أظهرت فقدان ثقة الناخب الفرنسي بحزب ماكرون ذاته، وتمكن «حزب الخضر» اليساري من الفوز بغالبيية البلديات، تلاه «الحزب الاشتراكي» و«حزب الجمهوريين»، فيما تقلص حضور حزب الوسط «الجمهورية إلى الأمام»، وحزب «التجمع الوطني» اليميني المتطرف بشكل كبير⁶⁰.

اختار ماكرون قضيةً توحد مختلف مكونات المجتمع الفرنسي، على الرغم من وجود قضايا أكثر أهمية وتحتاج إلى معالجة مستعجلة، إلا أن قضية «الإرهاب» وإثارة «يقظة المجتمع» للحفاظ على «الجمهورية وقيمها» يمكن المراهنة عليها في الحصول على المزيد من التأييد الانتخابي في عام 2022. وقد اختار المسلمون كبش فداء للتنصل من مسؤوليته، وذلك لكون مشكلة الانعزالية

⁵⁹ سيندي كوك، غالبية الفرنسيين يرون أن ماكرون فشل في التعامل مع أزمة كورونا، وكالة الأناضول، (2020/10/8)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/17). <https://cutt.ly/Hhn9T2w>

⁶⁰ Giuseppe Cugnata, The Elections and the Pandemic. The French Municipal Elections 2020, Transform Network, (092020/07/), Accessed (032020/12/). <https://0i.is/xOYF>

أو الانفصالية التي يعيشها الإسلام قضية مصطنعة وغير موجودة على الساحة الفرنسية كما يظنها ماكرون. فكما ذكر سابقاً فالمسلمون في فرنسا يعانون بشكل أساسي الانعزال السياسي الاقتصادي، وسلطة الدين في حياتهم قد تلاشت بشكل كبير.

ومع ذلك لا يسعى ماكرون في مشروعه الجديد إلى إصلاح أوضاع المسلمين الاقتصادية (توفير فرص العمل وتقليل معدلات البطالة.. إلخ)، ولا ينوي خلق بيئة اجتماعية محفزة للمسلمين الفرنسيين والمهاجرين المسلمين على تبني الحداثة بمبادئها، وتشجعهم على الانخراط والتعايش الإيجابي في مجتمع موحد، وإنما يحاول سد ثغرات عجز إدارته، وتسليط ضوء إعلامي أكبر على قضية «يتفاعل معها أغلب الشعب الفرنسي»، حتى يستفيد منه في انتخابات 2022.

وللمفارقة فقد فشل ماكرون في إدراك مبدأ فرنسا الأساسي؛ وهو الفصل بين الكنيسة والدولة وحياد الدولة تجاه الدين، وعدم الخوض في أي خطاب ديني يوجه للمجتمع. وفضلاً عن ذلك لم يوجه ماكرون خطابه للمسلمين داخل الحدود الفرنسية فقط، ولكنه أخذ على عاتقه أيضاً تبني قضية الحكم الرشيد للمسلمين في جميع أنحاء العالم، وهذا أظهر فشله في تحديد أولويات خطابه السياسي، وعرض سياسة فرنسا الخارجية لأزمة شديدة مع العالم الإسلامي⁶¹.

⁶¹ H. A. Hellyer, Macron's Not Worried About Islam. He's Worried About Le Pen, Foreign Policy, (082020/10/), Accessed (052020/12/). <https://oi.is/wqLP>

مآلات التحركات الفرنسية على الإسلام والمسلمين

بناءً مع ما ورد في هذه الورقة يمكن استشراف ثلاث قضايا رئيسية تدور حول مدى نجاعة دعوات المقاطعة، ووضع المهاجرين في فرنسا، وحملة الإسلاموفوبيا الموجهة ضدهم، وأخيراً مدى تمكن فرنسا من إنشاء «الإسلام المحلي» الخاص بها.

1- فعالية حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية

يقتضي استشراف مدى نجاح حملات المقاطعة في تحقيق أهدافها الإشارة إلى العلاقات التجارية بين فرنسا والعالم العربي والإسلامي، وفي هذا الإطار تشير التقارير إلى أن فرنسا تعتمد بنسبة 15.6٪ من تجارتها الخارجية على العالم الإسلامي. ووفقاً لبيانات موقع (ITC Trade)، وهو مشروع تابع للأمم المتحدة، بلغت صادرات فرنسا إلى 7 دول عربية فقط (الجزائر، والمغرب، وقطر، وتونس، والإمارات، والسعودية، ومصر) في العام الماضي نحو 29 مليار دولار، في حين بلغت صادرات فرنسا إلى تركيا نحو 6.655 مليار دولار⁶²، بالإضافة إلى الاستثمارات الخليجية في فرنسا التي بلغت قيمتها الإجمالية ما يقارب 300 مليار دولار. وبحسب بيانات وزارة الزراعة في باريس تعد الجزائر عاشر أكبر سوق للصادرات الزراعية الفرنسية بقيمة صادرات تقدر بنحو 1.4 مليار يورو عام 2019، ثم جاء المغرب في المرتبة الـ 17 في استيراد المنتجات الزراعية الفرنسية بقيمة 700 مليون يورو لذات العام⁶³.

⁶² استمرار مقاطعة البضائع الفرنسية... انتصارنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مجموعة التفكير الاستراتيجي، (2020/11/02)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/19). <https://cutt.ly/phmYhWU>

⁶³ أمحق فرنسا يقع في حيص بيص، مجموعة التفكير الاستراتيجي، (2020/11/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/19). <https://cutt.ly/shmYHH5>

تعكس هذه الأرقام مدى أهمية البعد الاقتصادي في المسألة؛ لذلك فإن خيار المقاطعة يمكن التعويل عليه في إعادة رسم علاقة فرنسا بالإسلام بشكل ما؛ لأنه رغم اقتصر حملات مقاطعة المنتجات الفرنسية التي دعت إليها أغلب شعوب الدول الإسلامية على السلع الغذائية بشكل أساسي، وعلى المواد التجميلية والدوائية بنسبة أقل، دون أن تمتد إلى ما سواها من المنتجات والقطاعات الخدمية، فإن ذلك لا يعني أن المقاطعة لن تؤثر في الاقتصاد الفرنسي، وذلك لأن حجم صادرات فرنسا من المنتجات الغذائية إلى الدول العربية والإسلامية كبير جداً.

وبالعودة إلى ما حدث مع الدنمارك فإن الأخيرة، على الرغم من ضآلة نسبة صادراتها الخارجية إلى العالم الإسلامي، والتي لا تزيد على 2.5٪ من تجارتها الكلية، تأثرت بشكل كبير بالمقاطعة الإسلامية عام 2005، واعترفت بتسريح الآلاف من العمال وبخسائر هائلة منيت بها. من هذا المنطلق فإن الوضع سيكون مشابهاً، وربما أكبر بكثير في الحالة الفرنسية؛ بناء على العلاقات التجارية، كما سبقت إليه الإشارة، وتعد منتجات الحبوب التي تصدرها فرنسا إلى الدول العربية والإسلامية الأكثر تضرراً؛ لأن هذه الدول تعد أسواقاً كبيرة للمنتجات الفرنسية من الحبوب.

ويبدو أن فرنسا شعرت بالخطر من دعوات المقاطعة؛ نظراً لحجم نشاطها الاقتصادي مع العالم الإسلامي، وهذا ما دفع بوزارة الخارجية الفرنسية إلى المسارعة إلى إصدار بيان أشارت فيه إلى أن «دعوات المقاطعة هذه لا أساس لها، ويجب أن تتوقف على الفور، وكذلك جميع الهجمات ضد بلدنا، والتي تدفعها أقلية متطرفة»⁶⁴. وكان ذلك مباشرة عقب انطلاق الحملات

⁶⁴ الخارجية تدعو لوقف مقاطعة المنتجات الفرنسية.. وماكرون: لن نراجع أبداً، القدس العربي، (2020/10/23)،

تاريخ الاطلاع: (2020/12/2). <https://cutt.ly/zhEueQp>

الإلكترونية للمقاطعة، وهو ما عكس توجس فرنسا، وخشية أجهزتها الحكومية من أن يتأثر اقتصادها المتضرر أصلاً من حملات المقاطعة.

تأسيساً على ذلك يمكن القول إن نجاعة هذه الدعوات تعتمد على مدى التزام الشعوب بالمقاطعة، ففي حال الالتزام الشعبي بالمقاطعة سيكون لتلك الدعوات آثار قوية في إضعاف الاستثمار، وكذا في خفض أسعار الأسهم، وربما يؤدي ذلك إلى زيادة النمو السليبي للاقتصاد، وارتفاع معدل البطالة فيها، ولا سيما مع جائحة فيروس كورونا وما خلفته من آثار اقتصادية مدمرة على النظام الاقتصادي العالمي.

فالتوقعات الاقتصادية أشارت إلى توقع انخفاض الناتج المحلي الإجمالي الفرنسي بشكل حاد بسبب جائحة كورونا (COVID-19)، فقد أظهر نمو الناتج المحلي الإجمالي في فرنسا انكماشاً بنسبة 9% في عام 2020. ويُتوقع أن يرتفع العجز الحكومي العام إلى 10.5% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2020، وما سينتج عنه من ارتفاع للدين العام بشكل مطرد إلى 119% حتى عام 2022.⁶⁵

أزمة كورونا أثرت أيضاً بشكل سلبي كبير في حركة الصادرات والواردات الفرنسية، نتيجة توقف حركة النقل الجوي والبري والبحري، ولا سيما مع الصين والولايات المتحدة الأمريكية. وبحسب وثيقة نشرتها المديرية العامة للجمارك الفرنسية في 7 مايو/أيار 2020، فقد تراجع الصادرات الفرنسية بنسبة 7.3%، والواردات بنسبة 6.2%، وهذا أثر بشدة في الميزان التجاري الفرنسي، الذي انعكس بدوره على مختلف القطاعات الخدمية

⁶⁵ European Economic Forecast, Office of the European Union, Institutional Paper 136, November 2020,96.

والإنتاجية للاقتصاد الفرنسي⁶⁶.

أما إذا كانت المشاركة ضيقة، وزخمها يقتصر فقط على وسائل التواصل الاجتماعي، فلن يكون لها تأثير كبير في الاقتصاد الفرنسي، ومن مظاهر ذلك تصريح للسفير الفرنسي في الجزائر ذكر فيه أن دعوات المقاطعة فشلت في البلاد بسبب ما وصفه بحضورها القوي في السوق، وارتباط الجزائريين بها لأنهم من أكبر مستهلكي منتجات فرنسا⁶⁷.

ومن ناحية ثانية سيكون لدعوات المقاطعة أثر أقوى في الاقتصاد الفرنسي في حال مشاركة الحكومات العربية والإسلامية فيها، لكونه سيمتد إلى قطاعات أكبر، كقطاع الطاقة (شركة توتال على سبيل المثال)، والصناعات الثقيلة، وكذا قطاعات الدفاع، لكون فرنسا أحد أكبر مصدري الأسلحة في العالم. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه في الحالة الدنماركية كانت مواقف الحكومات المنعدة أقوى، ورغم عدم مشاركتها المباشرة في المقاطعة فإن تلك المواقف أعطت زخماً للحملات الشعبية، أما في الحالة الفرنسية فلم تكن المواقف الحكومية قوية، وهو ما لا يخدم خيار المقاطعة.

2- العنصرية ضد المهاجرين والمسلمين

تنامت المشاعر المعادية للمسلمين والمهاجرين في أوروبا، بل تحولت تلك المشاعر إلى سلاح فعال للمعتكك السياسي الأوروبي، ومادة إعلامية خصبة لتحميلهم مسؤولية «المشاكل الأمنية»،

⁶⁶ Salha Ben Salem, Nadia Mansour, Health Crisis Covid-19 and the French Economy, Journal of the International Academy for Case Studies Volume 26, Issue 5, October 2020, 6.

⁶⁷ سفير باريس: حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية فشلت بالجزائر، الشروق الجزائرية، (2020/11/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/15). <https://cutt.ly/ahKAlIH>.

و«عدم الانسجام المجتمعي». فقد تصاعدت الحركات اليمينية المتطرفة في السنوات الأخيرة، وأصبحت قاعدتها الشعبية تتوسع يوماً بعد يوم، بحجة تصاعد وتيرة «أسلمة أوروبا»، وأن سكان القارة سيصبحون أقليات عما قريب نتيجة ارتفاع معدلات الهجرة إليها من «المشرق العربي»، ولا سيما بعد أحداث الربيع العربي في 2011، والأزمات الإنسانية التي تبعته، خاصة الأزمة السورية.

أشار تقرير لمعهد «بيرتلسمان ستيفتانغ» الألماني، عام 2019، إلى أن 60% من الفرنسيين يعتقدون أن الإسلام «لا يتوافق مع نمطَي التفكير والعيش الغربيين»⁶⁸، وهكذا باتت المنظمات أو الأحزاب المعادية للإسلام تنطلق من هذه المعتقدات لنشر فكرة ضرورة مراقبة «ممارسات» المسلمين اليومية حتى لا يقوموا بأي تهديد لـ«المجتمع الأوروبي»، بل وأضحت التشريعات الأوروبية تتسع باستمرار لاستهداف مظاهر التعبير السياسية «المناهضة للعنف ضد المسلمين»، وللهويات الدينية الخاصة، تحت مظلة «مكافحة الإرهاب» و«حماية الهوية الأوروبية».

ومع ذلك، ترى الورقة أن تصاعد موجات العداة ضد المهاجرين العرب والمسلمين قد يخلق موجة عكسية داخل فرنسا في المستقبل القادم، تتمثل في تراجع ظاهرة اليمين المتطرف والإسلاموفوبيا، ولا سيما أن من يحمل «لواء العداة» لم يحقق إنجازاً سياسياً واقتصادياً على أرض الواقع، وهذا ما حدث بالفعل في عدد من البلدان الغربية، ففي الانتخابات الأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية حافظ النواب المسلمون على مقاعدتهم

⁶⁸ مسلمو فرنسا وأوروبا.. عنصرية وإسلاموفوبيا وإقصاء مجتمعي وتمهيش اقتصادي، موقع TRT عربي،

(2020/10/29)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/3). <https://cutt.ly/ahmUqSv>

في الكونجرس، على الرغم من سياسة ترامب الصريحة في معاداة المهاجرين، والأمر نفسه في نيوزيلندا بعد الحادث الإجرامي عام 2019 ضد المسلمين الذي أثار يقظة النيوزيلنديين والأوروبيين من بعدهم لأفكار اليمين المتطرف التي لا تنسجم إطلاقاً مع المبادئ والقيم الغربية المعاصرة.

نسبية تراجع ظاهرة اليمين المتطرف، وإن توفرت مؤشرات ظهورها في نتائج انتخابات البلدية الفرنسية، قد تأخذ وقتاً أطول في فرنسا مقارنة بنظرائها الغربيين، بسبب التاريخ الدموي الذي جمع فرنسا بالعالم الإسلامي، واللائكية المترسخة في عقيدة جل الأطياف السياسية. ولكن قياساً على التيار الموجود بين العديد من الأكاديميين والمثقفين الفرنسيين، ونسبة معقولة من المجتمع الفرنسي الذين يرفضون معاداة أتباع الإسلام وأفكار اليمين المتشدد، يمكن التنبؤ بحدوث موجة عكسية تُمكن المهاجرين والمسلمين من التمثيل السياسي والتمكين الإعلامي والاقتصادي بشكل أوسع، ولكن هذا يشترط في المقابل عدم قيام المتطرفين من المسلمين بأعمال عنف تستثمر فيها التيارات اليمينية، وهو ما من شأنه جعل الجميع يدور في حلقة مفرغة وجدلية الظالم والضحية، وهذا ما سيوضح في العنصر التالي.

3- سيناريوهات "الحرب الحضارية" على الإسلام

بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر أصبح هناك ما يسمى بالحرب العالمية على «الإرهاب»، وقد رُبط الإرهاب بالمسلمين، وخُلقت أكثر من حرب في بلد مسلم نتج عنها آلاف الضحايا وملايين المشردين. الوضع تفاقم أكثر بعد ثورات الربيع العربي؛ لما نتج عنه من انهيار أو ضعف لعدد من

الدول العربية، وظهور تنظيم الدولة (داعش) وإعلان الدول الكبرى مجدداً حربها على «التنظيمات الإسلامية المتطرفة».

نتيجة للأزمة التي تركها «داعش» في العالم، ظهرت ملامح لإعادة التعريف بالإسلام، ورسوم أطر يمكن للمسلمين أن يمارسوا شعائرهم الدينية من خلالها، ولكن بما تقتضيه «حماية الأمن العام» و«السلم المجتمعي» داخل دولة ما. بمعنى أن كل دولة تشكل معالم الدين الإسلامي الخاص بها دون الحاجة إلى الارتباط بـ«الإسلام العالمي»، بحجة أن عدم تقويم «الإطار العام للإسلام» داخل الدولة قد يعرض المنتمين إليه للتطرف، ويهدد المصلحة العامة للمجتمع؛ نتيجة استيلاء «مجموعات متطرفة» على تفسير الدين وتأويله بشكل دموي.

ولعل قضية مسلمي الصين في إقليم شينجيانغ، وإنشاء الحكومة الصينية لمعسكرات «إعادة التأهيل» لمن تصفهم بالمتشددين الإسلاميين، واحتجازها لأكثر من مليون مسلم من أقلية الأويغور في تلك المراكز خير شاهد على تلك التحركات المستحدثة في سبيل إيجاد الصين لنسختها من الإسلام المحلي.

وقد حاولت الدول العربية أن تسير أيضاً على هذا المسار، حيث يجري العمل في مصر على مشروع قانون تنظيم دار الإفتاء، بما يهيئ لفصل الإفتاء عن الأزهر، في سابقة جديدة من نوعها؛ لكون دار الإفتاء تخضع لرقابة الأزهر الشريف ومراجعته منذ مئات السنين، وفقاً للدستور المصري، إضافة إلى دعوات حكومة السيسي المتزايدة لتجديد الخطاب الديني، وتحميل الأزهر مسؤولية مواجهة أفكار العنف والإرهاب.

لذا يمكن القول إن الهجوم الماكرونية جاءت في مسار ليس

ببعيد عما يعاصره العالم الإسلامي، فهو إما ضعيف يعاني من تقييد لحياته تحت ذريعة الحد من الانفصال الفكري لمتسبيه، أو متراخ مع تلك الأطروحات الجديدة ويسعى إلى تطبيقها في مجتمعاته.

ولكن هل سيؤدي ما تقوم به تلك الأنظمة إلى إصلاح حقيقي لما يسمونه بمشكلة «التفسيرات الراديكالية للدين الإسلامي»؟

يجب البحث أولاً في الأسباب التي دفعت المتمين للحركات الدينية المتطرفة إلى تبني مثل هذه الأفكار، أيرجع السبب إلى الدين أم إلى أسباب أخرى؟ فكما أظهرت الدراسات الكمية في أوروبا والمنطقة العربية، فإن للأفكار الدينية دوراً ثانوياً فقط في الدفع نحو التطرف العنيف، وإن الشباب الذين ينضمون إلى الجماعات الإرهابية لا يتبنون تلك الأفكار الدينية المتطرفة إلا بعد تطرف سابق نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عانوا منها⁶⁹.

سبق أن تبني عدد من الأنظمة العربية والإسلامية تشريعات صارمة في سبيل تنظيم الممارسات الدينية وجعلها تحت رقابة الدولة، ولكن كانت النتائج عكسية تماماً؛ لأن فرض نسخة من الإسلام تجيزها الدولة على مجتمعاتها، يُفقد النظام شرعيته؛ بوصفه مقيداً للحرية الدينية، ويمنح «الجماعات المتطرفة» فرصة لتعزيز قضيتها ونشر معتقداتها بشكل أكبر داخل المجتمع، وهذا ما حدث في تونس في ظل نظامي الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي، حيث أدت السيطرة الشديدة للدولة على

⁶⁹ Georges Fahmi, Why reforming Islam to fight violent extremism is a bad idea, Chatham House, (242020/11/), Accessed (302020/11/). <https://oi.is/D5F3>

المؤسسات الدينية إلى عزوف الناس عن المساجد التي تديرها الحكومة إلى تلك التي تتبنى خطاباً «أكثر أصالة»، حسب اعتقادهم. ولكن بعد سقوط نظام بن علي وتوسع حركة الحريات المكتسبة، تمكنت الحركة السلفية من السيطرة على نحو 400 مسجد، في حين خضع 50 مسجداً لسيطرة «السلفيين الجهاديين»، وهو ما مكن تلك الجماعات من نشر أفكارها وتجنيد أعضاء جدد⁷⁰.

بالنسبة إلى فرنسا والدول الأوروبية فإن الأمر مختلف بعض الشيء، لأن نسبة كبيرة من المتتمين إلى «التنظيمات الإرهابية» في جيلها الثاني (من عام 1995 فصاعداً) هم مواطنون أوروبيون عاشوا حياة علمانية مفرطة. وكان أعضاء تلك التنظيمات «الإرهابية» مزيجاً من معتنقين للإسلام حديثاً ومسلمين لم يعيشوا في أي بيئة دينية خاصة، بل إن علاقتهم بالمسجد المحلي كانت «غير جيدة».

أوليفييه روي في كتابه «الجهاد والموت: النداء العالمي للدولة الإسلامية»، جمع قاعدة بيانات لما يقرب من 100 شخص شاركوا في العمليات الإرهابية في فرنسا وبلجيكا، أو غادروا هذين البلدين للمشاركة في عمليات الجهاد العالمي. وجد روي أن 50٪ من «المتطرفين الإسلاميين في فرنسا» كانوا يشتركون في بداياتهم بـ«الجرائم الصغيرة؛ مثل تجارة المخدرات، وأسلحة في متناول اليد، ومواجهات مع الشرطة، وغيرها»، ثم يتحولون فجأة بشكل فردي أو بمجموعات صغيرة إلى «متطرفين متشددين»⁷¹.

⁷⁰ Christine Petre, How Tunisia's moderate imams are seeking to reclaim Islam from extremists, Al-Monitor, (062015/12/), Accessed (302020/11/). <https://0i.is/xOr4>

⁷¹ Olivier Roy, Who are the new jihadis? The Guardian, (172017/04/), Accessed (302020/11/). <https://0i.is/O6H4>

بالإمكان القول إن «الإرهابيين الفرنسيين» كانوا نتيجة اندماج غير ناجح، ولكن سيبدو هذا الطرح ناقصاً، خاصة أن المنتمين لتلك المجموعات لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة جداً من المسلمين القاطنين في مختلف ضواحي فرنسا. لقد تداخلت عدة عوامل أدت إلى تكوين تلك الخلايا الإرهابية على الأراضي الأوروبية، منها المظلمة الاقتصادية والاجتماعية، وتعطيل الدور الديني وفصله تماماً عن الحياة العامة، وأخيراً- وهو الأهم- سوء إدارة الدوائر الحكومية في مواجهة «التطرف» داخل أراضيها.

إن خطاب ماكرون وتحركات الداخلية الفرنسية في مواجهة «الانعزالية الإسلامية»، ووضع الأسس لإنشاء «الإسلام المنفتح على القيم الفرنسية»، لن يحقق ثماره في حماية فرنسا من الاعتداءات الإرهابية؛ لأنه ببساطة مشروع يعالج مشكلة «غير موجودة»، وبعيدة كل البعد عن احتياجات المجتمع المسلم الذي لا يمكن حصر مشاربه وأفكاره في فئة واحدة فقط، وعلى العكس تماماً؛ قد يدفع مجموعة من المسلمين الفرنسيين إلى تبني أفكار أكثر تشدداً، والدفاع عما تراه مظلومية بحقها، والتي قد تقودها إلى تبني أعمال عنيفة داخل المجتمع الفرنسي؛ لكون سياسات الإساءة المنهجية للإسلام تحفز على إنتاج التطرف؛ خاصة أن الجماعات المتشددة والتنظيمات المتطرفة، ولا سيما داعش، هي التي تتلقف مخرجات هذه الأحداث لتوظفها لمصلحتها وتنفيذ أجندتها الرامية إلى تجنيد مقاتلين جدد، وهو توظيف يعمل على استثمار تداعيات التضييق المنهج على المسلم الفرنسي، ما يسهم في اتساع الهوة بينه وبين هويته الوطنية، وزيادة مساحات الحنق والشعور بالظلمة التي من شأنها أن تعمل على زيادة وتيرة العنف⁷².

⁷² مصطفى زهران، مسيو ماكرون أنت تزرع التشدد، موقع ذات مصر، (2020/11/02)، تاريخ الاطلاع:

المراجع

المصادر العربية

أولاً: الكتب

- أحمد رمزي، الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1948.
- برناردين كلتي، فتح القسطنطينية، ترجمة شكري نديم، مكتبة النهضة، بغداد، 1962.
- عمار بوحش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط1، 1997.

ثانياً: الدراسات والرسائل والمجلات العلمية والنشرات

- عامر فاحوري، حظر الرموز الدينية في فرنسا بين مطرقة العلمانية ومبادئ حقوق الإنسان، المنارة للبحوث والدراسات، المجلد 20، العدد 3.
- كريم عبد الرحمن، العلمانية - ماهيتها، تعريفاتها، مقاصدها، مجلة الاستغراب، شتاء 2016.

ثالثاً: المواقع والصحف

- «إساءة» ماكرون للرسول.. الأردن مستاء والجزائر تستنكر، وكالة الأناضول، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/9hZCiYD>
- «رابطة العالم الإسلامي»: الرسوم المسيئة لا تمثل سوى أصحابها، موقع جريدة الشرق الأوسط، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع:

<https://cutt.ly/ChJ6qmZ> .(2020/12/15)

<https://cutt.ly/NhLOcT7> .(2020/12/17)

- «مجلس حكماء المسلمين» يعتزم مقاضاة صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية وكل من يسيء للإسلام، فرانس 24، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/Lhn2eMy> .(2020/11/29)

- اتحاد علماء إفريقيا يدين الموقف الفرنسي المسيء للإسلام، موقع مجلة المجتمع، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: <https://0i.is/> .(2020/12/17) k6sH

- أحمد بن صالح الظرافي، القائد العربي الذي فتح الشطر الأعظم من فرنسا، الجزيرة نت، (2019/5/20)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/ehnW1Q8> .(2020/11/26)

- أحمد بن صالح الظرافي، القائد العربي الذي وصل بجيشه إلى ضواحي باريس، الجزيرة نت، (2019/5/4)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/VhnWQjC> .(2020/11/26)

- أحمد محمد، الفتوحات الإسلامية في فرنسا، موقع ساسة بوست، (2015/8/3) تاريخ الاطلاع: (2020/11/25). <https://www.sasapost.com/opinion/france/>

- أحرق فرنسا يقع في حيص بيص، مجموعة التفكير الاستراتيجي، (2020/11/2) تاريخ الاطلاع: (2020/11/19). <https://cutt.ly/shmYHH5>

- ارتفاع حاد في نسبة الهجمات ضد المسلمين بفرنسا، موقع الجزيرة نت، (2020/10/1)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/22). <https://cutt.ly/Khn9CNT>

- الأردن يستدعي سفيرة فرنسا ويبلغها رفضه موقف ماكرون من الرسوم المسيئة، الخليج الجديد، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع:

<https://cutt.ly/YhnKb8e> .(2020/11/26)

- الأردن: الرسوم المسيئة استهداف واضح للمقدسات الدينية، وكالة الأناضول، (2020/10/24)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26).

<https://cutt.ly/ohnKlel>

- الأزهر يطلق منصة للتعريف بالنبي.. وشيخه يدعو لإقرار تشريع عالمي يجرم معاداة المسلمين، فرانس 24، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع:

<https://cutt.ly/9hn0FND> .(2020/11/29)

- استمرار مقاطعة البضائع الفرنسية... انتصارنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مجموعة التفكير الاستراتيجي، (2020/11/2)، تاريخ الاطلاع:

<https://cutt.ly/phmYhWU> .(2020/11/19)

- إسماعيل جمال، أردوغان يواصل هجومه الحاد على ماكرون ويدعو الشعب التركي لمقاطعة المنتجات الفرنسية، القدس العربي، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29).
<https://cutt.ly/jhnMjmE>

- إندونيسيا تستدعي سفير فرنسا للاحتجاج على تصريحات «ماكرون»، موقع عين ليبيا، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26).

<https://cutt.ly/ghn2Wsd>

- إيران تستدعي القائم بأعمال فرنسا: رد سلطاتكم على المتطرفين يفتقر للعقل، CNN بالعربية، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29).

<https://0i.is/Dt1L>

- إيمانويل ماكرون يتعهد بمحاربة «الانعزال الإسلامي» في فرنسا، BBC عربي، (2020/10/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20).
<https://0i.is/RHsJ>

- بعد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين... الأزهر يرفض تصريحات ماكرون عن الإسلام ويصفها بالعنصرية، موقع الجزيرة نت، (2020/11/3)، تاريخ

الاطلاع: <https://cutt.ly/nhnGGmN>.(2020/11/30)

- بعد حوادث استهدفت المسلمين.. آلاف الفرنسيين بمظاهرة حاشدة ضد الإسلاموفوبيا، موقع الجزيرة نت، (2019/11/11)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/Mhn93Xn> .(2020/11/22)

- تونس.. مشيخة «الزيتونة» تدعو إلى مقاطعة بضائع فرنسا، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/ohLPm7C> .(2020/12/17)

- جوناثان فيليبس، التاريخ الكامل للحملات الصليبية، ترجمة: أحمد زيد، موقع حكمة، (2016/2/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/25). <https://cutt.ly/ShnEEDB>

- الحظر الفرنسي لغطاء الوجه، ويكيبيديا، (بدون)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/FhnUqEP> .(2020/12/1)

- الحكومة الماليزية تستدعي القائم بأعمال السفارة الفرنسية، وكالة الأناضول، (2020/10/29)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/Shn2AZl>

- حملات شعبية لمقاطعة البضائع الفرنسية.. 9 دول عربية وإسلامية أصدرت مواقف بشأن الرسوم المسيئة، موقع الجزيرة الإخباري، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17). <https://cutt.ly/7hLCy8Z>

- الخارجية تدعو لوقف مقاطعة المنتجات الفرنسية.. وماكرون: لن نتراجع أبداً، القدس العربي، (2020/10/23)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/2). <https://cutt.ly/zhEueQp>

- دول المغرب العربي تبحث عن بدائل للبضائع الفرنسية: تصاعد حملات المقاطعة، العربي الجديد، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: <https://cutt.ly/4hLBUkT> .(2020/12/17)

- ردود فعل عربية غاضبة ضد تصريحات ماكرون ودعوات لمقاطعة البضائع الفرنسية، موقع الجزيرة نت، (2020/10/23)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/24) <https://cutt.ly/whn2xB9>
- الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد في صحيفة يولانديس بوستن، موسوعة ويكيديا، (د.ت)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/2). <https://cutt.ly/vhYzwtv>
- رنده عطية، بلاط الشهداء.. المعركة التي غيرت تاريخ الفتح الإسلامي، موقع نون بوست، (2020/6/13)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/25). <https://cutt.ly/phnEwGD>
- رئيس الوزراء الباكستاني يتهم الرئيس الفرنسي بـ«مهاجمة الإسلام»، موقع يورونيوز، (2020/10/25)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/29). <https://0i.is/dDtB>
- السعودية: نرفض أي محاولة للربط بين الإسلام والإرهاب، موقع العرب، (2020/10/27)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26). <https://cutt.ly/lhnLrGN>
- سفير باريس: حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية فشلت بالجزائر، الشروق الجزائرية، (2020/11/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/15): <https://cutt.ly/ahKAlIH>
- سيدي كوك، غالبية الفرنسيين يرون أن ماكرون فشل في التعامل مع أزمة كورونا، وكالة الأناضول، (2020/10/8)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/17) <https://cutt.ly/Hhn9T2w>
- عادل لطيفي، العلمانية واللائكية والإسلام.. رفعا للالتباس، موقع الجزيرة، (2011/9/19)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/23).

<https://cutt.ly/LhnTwpG>

- عبده مصطفى دسوقي، اللائكية - Secularism، الموسوعة السياسية، (د.ت)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/22). <https://cutt.ly/JhnTanS>.

- علاء عبد الرحمن، هذه قصة رسوم فرنسا المسيئة.. وحملة المقاطعة، موقع عربي 21، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/30). <https://cutt.ly/WhnSOlu>

- فرنسا تقرر حل جمعية «بركة سيتي» الإسلامية، وكالة «سبوتنيك» الإخبارية الروسية بالعربي، (2020/10/28)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/30) <https://sptnkne.ws/Eg8N>.

- فرنسا.. ماكرون يطرح مشروع قانون يستهدف الجالية المسلمة، موقع الجزيرة نت، (2020/10/1)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20). <https://cutt.ly/yhmQj3x>

- الكابوس الفرنسي في إفريقيا (القسم الأول): الخلفية التاريخية، وكالة الأناضول، (2020/2/8)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/18). <https://cutt.ly/OhZKfLA>

- ماكرون عن الرسوم المسيئة: لن نتخلى عن حرية التعبير...، موقع الجزيرة نت، (2020/11/16)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/1). <https://oi.is/xWFd>

- ماكرون يدعو إلى التصدي «للنزعة الإسلامية الراديكالية» الساعية إلى «إقامة نظام مواز» في فرنسا، موقع قناة فرنسا 24، (2020/10/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/30). <https://cutt.ly/FhnGnpN>.

- ماكرون يضع خمسة محاور لمواجهة «الانفصالية الإسلامية»، موقع

جريدة الشرق الأوسط، (2020/10/3)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20).
<https://cutt.ly/uhmQOQD>

- مسلمو فرنسا وأوروبا.. عنصرية وإسلاموفوبيا وإقصاء مجتمعي وتهميش اقتصادي، موقع TRT عربي، (2020/10/29)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/3).
<https://cutt.ly/ahmUqSv>

- مصطفى زهران، مسيو ماكرون أنت تزرع التشدد، موقع ذات مصر، (2020/11/2)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/15).
<https://cutt.ly/ChJ6qmZ>

- مفتي عُمان يشيد بمقاطعة فرنسا ويدعو لسحب الاستثمارات منها، الخليج أونلاين، (2020/10/26)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/26).
<http://khaleej.online/wxyRR7>

- ملامح خطة ماكرون الرباعية ضد «الانفصال» الإسلامي في فرنسا، موقع قناة DW بالعربية، (2020/2/19)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/20).
<https://cutt.ly/uhmQB1T>

- نصره للنبي.. جمعيات تجارية عربية تعلن مقاطعة منتجات فرنسية، وكالة الأناضول، (2020/10/24)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/24).
<https://cutt.ly/WhnLguj>

- هجوم نيس: ماكرون يعقد اجتماعاً أمنياً طارئاً رفيع المستوى، وتحذيرات قوية للفرنسيين بالخارج، BBC News، (2020/10/29)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/1).
<https://oi.is/v0aK>

- هيئة كبار العلماء السعودية: الإساءة للأنبياء لا تمت حرية التعبير بصلة وخدمة مجانية للمتطرفين، موقع CNN بالعربي، (2020/10/25)، تاريخ الاطلاع: (2020/12/17).
<https://oi.is/BOIA/>

- الوطن العربي ينتفض لنصرة رسول الله من المحيط إلى الخليج لمقاطعة البضائع

الفرنسية، الأمة برس، (2020/10/23)، تاريخ الاطلاع: (2020/11/24).
<https://oi.is/1oeZ/>

المصادر الأجنبية

أولاً: الدراسات والرسائل والمجلات العلمية والنشرات

- European Economic Forecast, Office of the European Union, Institutional Paper 136, November 2020.
- John R. Bowen, Islam in/of France: Dilemma of trans-locality, Conference of the Europeanists, 2002.
- Noura Ahmed, Unveiled: France's Inability to Accept Islam, Master's Degree Thesis, Arizona State University, 2017.
- Salha Ben Salem, Nadia Mansour, Health Crisis Covid-19 and the French Economy, Journal of the International Academy for Case Studies Volume 26, Issue 5, October 2020.
- Stephen M. Croucher, French-Muslims and the Hijab: An Analysis of Identity and the Islamic Veil in France, Journal of Intercultural Communication Research, 2008.

ثانياً: المواقع والصحف

- Angelique Chrisafis, France's headscarf war: 'It's an attack on freedom, The Guardian (22/07/2013), Accessed (30/11/2020). <https://oi.is/k4o6>
- Christine Petre, How Tunisia's moderate imams are seeking to reclaim Islam from extremists, Al-Monitor, (06/12/2015), Accessed

(30/11/2020). <https://0i.is/xOr4>

- Georges Fahmi, Why reforming Islam to fight violent extremism is a bad idea, Chatham House, (24/11/2020), Accessed (30/11/2020). <https://0i.is/D5F3>

- Giuseppe Cugnata, The Elections and the Pandemic. The French Municipal Elections 2020, Transform Network, (09/07/2020), Accessed (03/12/2020). <https://0i.is/xOYF>

- H. A. Hellyer, Macron's Not Worried About Islam. He's Worried About Le Pen, Foreign Policy, (08/10/2020), Accessed (05/12/2020). <https://0i.is/wqLP>

- Olivier Roy, Who are the new jihadis? The Guardian, (17/04/2017), Accessed (30/11/2020). <https://0i.is/O6H4>

- The Associated Press, Veiled women arrested at Paris protest, CBC News, (11/04/2011), Accessed (30/11/2020). <https://0i.is/yrr2>



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافي.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.
- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.
- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

1. الأبحاث والدراسات:

- حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص المركز، وهي:
- الدراسات السياسية.
 - الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.
 - الدراسات الحضارية والتنمية.
 - دراسات الفكر الإسلامي.

2. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدّد المهارات.

3. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.

عضوية المركز في المنظمات العالمية:

MMIRA Mixed Methods
International Research Association

WAPOR
WORLD ASSOCIATION FOR PUBLIC OPINION RESEARCH

GlobalResearch
Centre for Research on Globalisation
globalresearch.ca | globalresearch.org



TTCSP
LINKING AND CIVIL SOCIETY POLICY
UNIVERSITY OF TURKEY

مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

   flkercenter

+90 536 777 07 76

+90 212 7077 79

info@fikercenter.com

publish@fikercenter.com

